دعم أساسات الحياة الأبدية

تقبّل الحقيقة البديهية

تأليف توماس ج. إيدل

... كشجرة مغروسة عند مجاري المياه ...

مزمور 1

دعم آساسات الحياة الآبدية

تقب ل الحقيقة البديهية

بقلم توماس ج. إيدل

حقوق النشر © 2015 لتوماس ج. إيدل

نسخة الترجمة بالذكاء الاصطناعي، يوليو 2026

شكرًا لك على تنزيل هذا الكتاب الإلكتروني. يمكنك مشاركته مع أصدقائك. **يجوز استنساخ هذا الكتاب ونسخه وتوزيعه بحريةٍ لأغراض غير تجارية.** يرجى إدراج بيان حقوق النشر هذا كلما كان ذلك عمليًا. ولا يجوز بيع النسخ بقصد الربح دون موافقة خطية من المؤلف.

قد تتوفر صيغ أخرى من الكتاب الإلكتروني على:
ShalomKoinonia.org

أرسل التعليقات والاقتراحات الخاصة بالمراجعة إلى:
Thomas@ShalomKoinonia.org

تُنجَز معظم ترجمات هذا الكتاب من الإنجليزية إلى لغات أخرى بواسطة الذكاء الاصطناعي (AI)، وقد تحتوي على أخطاء وتناقضات لم يقصدها المؤلف. يُرجى عدم التردد في إجراء تصحيحات على ملف epub. وإرسال نص منقح إلى المؤلف للنظر في إمكانية توزيعه (قد يكون برنامج «Sigil» المجاني أداة جيدة لتعديل ملف epub.).

جدول المحتويات

تمهيد

الجزء 1 بعض الحقائق البديهية

1. الحق موجود
2. صحيح أم باطل؟
3. طاهر أم دنِس؟
4. خير أم شر؟
5. صواب أم خطأ؟
6. بارّ أم غير بارّ؟
7. جماعات مختلفة
8. مسارات مختلفة
9. مصائر مختلفة
10. بداية أم بلا بداية؟
11. إيمان أم لا إيمان؟
12. العالم الروحي أم لا؟
13. خلق أم لا خلق؟
14. خالق أم بلا خالق؟
15. هل الخلق والخالق هما الشيء نفسه؟
16. الله أم آلهة؟
17. خاتمة بديهية

الجزء 2: الإيمان والعلم

18. عن الإيمان

19. عن العلم
20. الإيمان بالعلم؟

21. الخداع
22. الإيمان والخداع
23. العلم والخداع

24. الإيمان والعلم في تعارض

الجزء 3: اللهُ مُعلِنًا

25. اللهُ المتجلّي في الطبيعة
26. اللهُ متجلٍّ في الذات
27. اللهُ متجلٍّ في الآخرين
28. اللهُ المتجلّي في العلاقات

29. اللهُ المُعلِن من خلال الآخرين
30. اللهُ المعلِن من خلال نص مقدس
31. هل أُعلِن اللهُ من خلال يسوع؟

الخاتمة

تمهيد

إن كتابي السابق، «أساسات للحياة الأبدية،» يلخّص حقائق روحية واردة في النص المقدسِ. لم يبذل في ذلك الكتاب أيِ جهد لإثبات صحة النص المقدس بوصفه مصدرا للحق؛ فقد كان ذلك مفترضاً.

أما هذا الكتاب، فيناقش حقائق روحية مستقلة إلى حد كبير عن النص المقدس. وتستند هذه الحقائق ببساطة إلى الملاحظة والعقل. وكما فعل كثيرون قبلي، أسمّي مثل هذه الحقائق «الحقائق البديهية». وتشكل هذه الحقائق الأساس الراسخ الذي يمكن أن يبنى عليه الإيمان الحق، والذي يمكن أن يفهم النص المقدس ويقبل على أساسه.

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أجزاء:

الجزء 1: بعض الحقائق البديهية

الجزء 2: الإيمان والعلم

الجزء 3: الله مُعلَنًا

يركّز **الجزء 1** على الحقائق البديهية المهمة في فهم مسائل الإيمان، وكذلك الحياة بوجه عام.

يتناول **الجزء 2** التوتر بين الإيمان والعلم، وكيف يمكن فهمهما بحيث لا يتعارضان أحدهما مع الآخر. ومن شأن الفهم الواضح في هذا المجال أن يساعدنا على اعتناق الحقائق الروحية البديهية.

يعرض **الجزء 3** كيف تكون بعض جوانب صفات الله بديهية من خلال ما صنعه الله، وكيف يمكننا أن نتعلم عن الله من الآخرين.

ومع أن الجزء 2 والجزء 3 من هذا الكتاب يعتمدان إلى حدّ ما على الجزء 1 من أجل الاتساق المنطقي، فإن كل جزء قائم بذاته إلى درجة ما، ويمكن قراءته مستقلا عن الأجزاء الأخرى. إذا لم يخاطبك الجزء الأول في موضعك الراهن، فيرجى أن تنظر في الانتقال إلى الجزء الثاني أو الجزء الثالث. ومع ذلك، قد يكون من المفيد قراءة الفصل 11 (الإيمان أو عدم الإيمان؟) في الجزء الأول قبل قراءة الجزء الثاني (الإيمان والعلم).

وبطبيعة الحال، فإن موضوع هذا الكتاب ليس جديداً. ومن المرجح ألا تطرح في هذا الكتاب أي مفاهيم جديدة. فمعظم المفاهيم التي تناقش هنا تعود إلى مئات السنين، إن لم تكن إلى آلاف السنين. ومع ذلك، فإن الطريقة التي تعرض بها هذه الأفكار جديدة، إلى حدٍّ ما على الأقل. وآمل أن يفضي تناول هذه الموضوعات من منظور جديد بعض الشيء إلى أن تبلغ فهماً أعمق للحق، وأن تنتفع حياتك بذلك.

إنني مدين لكثيرين ممن ساعدوني في بحثي الشخصي عن الحق. بعضكم أعرفه معرفة شخصية؛ بعضهم لا أعرفه إلا من خلال كتاباتهم أو أعمالهم السمعية البصرية؛ وبعضهم عاش قبل زماني. أشكركم على أنكم تكلمتم بالحق في حياتي. كما أتوجه بالشكر إلى الذين راجعوا مسودة من هذا الكتاب وقدموا لي ملاحظات قيمة. لقد أصبح كتاباً أفضل بفضلكم.

وفقًا لإشعار حقوق النشر في صدر هذا الكتاب، **يجوز نسخ هذا الكتاب وتوزيعه مجانًا.** وقد تتوافر نسخ إلكترونية متعددة، بما في ذلك نسخ مهيأة للطباعة، على:

ShalomKoinonia.org

****

الجزء 1
بعض الحقائق البديهية

ما الحقيقة؟

انضم إليّ وأنا أستكشف طبيعة الحقيقة. وكما هي الحال في موضوعات كثيرة، لا يستطيع المرء أن يفهمها جيدًا إلا بمقارنتها بشيء يختلف عنها. إن الحقيقة ذات معنى أساسًا لأنها تقف في مقابل الخداع أو الخطأ. لو لم يكن الخداع والخطأ موجودين، لكان مفهوم الحقيقة، ربما، بلا معنى.

سنستكشف في الجزء الأول كله مفاهيم أجدها «بديهية». وهذا يعني أن صحة هذه المفاهيم تتضح ببساطة من خلال العقل والملاحظة المتأنية للناس وما يحيط بنا. إن مثل هذه المفاهيم لا تحتاج إلى أن تستمد أو تبرهن انطلاقًا من مفاهيم أخرى أكثر أساسية؛ فهي ببساطة بديهية. هذه المفاهيم لا تحتاج إلى فلسفة عميقة أو تعليم ديني لكي تعرف وتفهم؛ فهي بديهية. أدعوك إلى أن تنظر بنفسك فيما إذا كنت توافق أم لا على أن هذه «الحقائق» «بديهية».

****

الفصل 1
الحقيقة موجودة

تتعلق الحقيقة بإقامة تمييز سليم بين مفاهيم متقابلة. هل الشيء خير أم شر؟ هل هو صواب أم خطأ؟ هل هو عال أم منخفض؟ هل هو حار أم بارد؟ هل له صفة معينة أم لا؟ هل العبارة صحيحة أم باطلة؟ هل وقع حقًا ذلك الحدث الذي قال أحدهم إنه وقع؟

هذه المسائل كلها مسائل تنطوي على الحقيقة. أعتقد أنه من المستحيل على أيّ منا أن يعيش يوما واحدا دون أن يتعامل مع الحقيقة على مستوى ما. وسواء وافقت على تلك العبارة الأخيرة أم لم توافق، فذلك في حد ذاته مسألة تتعلق بالحقيقة. هل قبلت لتوّك ما قلته على أنه حق، أم تأملت فيه بعمق أكبر؟ كيف نعرف ما إذا كان شيء ما حقًا أم غير حق؟

ليس مدار الحديث هنا على اتفاقنا أو عدم اتفاقنا بشأن كون أمر بعينه حقًا. بل مدار الحديث أننا جميعا نتعامل بانتظام مع ما إذا كانت أمور شتى حقًا أم غير حق.

وهذا يقودنا سريعًا إلى أولى حقائقنا البديهية:

وجود الحق بديهي.

لاحظ أن هذه «الحقيقة البديهية» الأولى لا تشير فحسب إلى أن الحق موجود، بل إلى أن وجود الحق «بديهي». إن وجود الحق لا يعتمد على استدلال آخر، سواء أكان بسيطا أم معقدا. فالاستدلال نفسه يفترض مسبقًا وجود الحق. أجد أن وجود الحق بديهي ببساطة.

لمزيد من التأمل:

- هل ترى أن وجود الحق بديهي؟ ولماذا، أو لِمَ لا؟

****

الفصل 2
حق أم باطل؟

«أهذا حق...؟» لعلّك نطقتَ بهذه الكلمات بنفسك مرارًا كثيرة. لنتابع نقاشنا باختبار بسيط من نوع الصواب أو الخطأ. يرجى النظر فيما إذا كانت كل عبارة من العبارات الأربع التالية صوابا (T) أم خطأ (F):

1. ____ «اللون الأسود هو نفسه اللون الأبيض.»

2. ____ «اللون الأسود يختلف عن اللون الأبيض.»

3. ____ «في البدء خلق الله السماوات والأرض.»

4. ____ «لا إله.»

آمل أن توافقني على أن الإجابات عن العبارتين الأوليين هي: 1. خطأ، 2. صواب.

والآن، فيما يتعلق بالسؤالين 3 و4، تصبح الأمور أكثر صعوبة بعض الشيء. وبما أن هذا كتاب يرتبط على نحو ما بالحياة الأبدية، فقد تفترض، على صواب، أنه مكتوب من منظور روحي، وأن المؤلف يؤمن على الأرجح بالله. وقد تفترض أيضا، على صواب، أنني (المؤلف) أرى أن الإجابات الصحيحة عن السؤالين الأخيرين هي: 3. صواب, 4. خطأ. ومع ذلك، هناك كثيرٍ من الناس الذين لا يؤمنون بوجود الله، أو ينظرون إلى الله نظرة تختلف كثيرا عن نظرتي، وقد يجيبون بإخلاص عن أحد هذين السؤالين أو كليهما إجابة تختلف عن إجابتي. وعندئذ سنختلف حول ما إذا كانت الإجابة الصحيحة عن كل من هذين السؤالين صوابا أم خطأ. تاريخيا، أدّت مثل هذه الخلافات، في بعضٍ الأحيان، إلى أن يضطهد الناس بعضهم بعضا و/أو يقتلوا بعضهم بعضا، فلنحاول تجنّب ذلك، مع الاعتراف بأن موضوع كون الأشياء صوابا أو خطأ موضوع مهم.

في البداية، لا ينصبّ اهتمامي على ما إذا كنت توافقني على إجاباتي عن الأسئلة الأربعة أعلاه، بل على ما إذا كنت توافقني أم لا على أن هناك **بالفعل** إجابة صحيحة من حيث الصواب أو الخطأ عن الأسئلة الأربعة أعلاه. وهذا

يتعلق بطبيعة الحقيقة. هل توجد حقيقة مطلقة فيما يتعلق ببعض المسائل على الأقل؟ هل يصح دائمًا أن اللون الأسود يختلف بطريقة ما عن اللون الأبيض؟ نعم. ذلك بديهي.

ماذا عن وجودنا نحن؟ هل توجد حقيقة مطلقة بشأن ما إذا كنتُ أنا وأنت موجودين أم لا؟ إنه بديهي عندي أنني موجود، وآمل أن يكون بديهياً عندك أنك موجود. قد لا يكون وجودك بديهياً عندي، إذ ربما لم ألتقِ بك قط، لكنني أؤكد أنه لا تزال هناك حقيقة مطلقة بشأن ما إذا كنت موجوداً أم لا. إن اعتقادي الخاص بشأن وجودك لا يغيّر الحقيقة المطلقة المتعلقة بما إذا كنت موجوداً أم لا.

وبالطريقة نفسها، هل توجد حقيقة مطلقة بشأن ما إذا كان الله موجوداً أم لا؟ يبدو لي أن الأمر كذلك. فإما أن الله موجود، أو أنه غير موجود. ويبدو لي أن وجود أي نوع من الحلّ الوسط أمر غير معقول. إن العبارة «لا إله» إما صادقة أو كاذبة، ومعتقداتي الشخصية بشأن وجود الله لا تغيّر تلك الحقيقة المطلقة.

غير أن الأمر يقتضي توضيحاً. ماذا نعني بمصطلح «الله»؟ إن كيفية تعريف هذا المصطلح أو فهمه قد تؤثر في ما إذا كان «الله» موجودا بالفعل أم لا. لذلك، حتى مع وجود حقيقة مطلقة بشأن أمور كهذه، قد يكون من الضروري تعريف المصطلحات بعناية لفهم تلك الحقيقة على نحو صحيح.

نرى إذن أن هناك حقيقة مطلقة بشأن بعض الموضوعات على الأقل، سواء كنا مدركين لها أم لا. وقد لا تكون الحقيقة المطلقة بشأن بعض الموضوعات بديهية، لكن من البديهي أن:

الحقيقة المطلقة موجودة.

لمزيد من التأمل:

- هل توافق على أن الحقيقة المطلقة موجودة؟ لماذا أو لماذا لا؟

****

الفصل 3
نظيف أم متّسخ؟

لنواصل اختبارنا القائم على الصواب والخطأ. يرجى أن تنظر فيما إذا كانت العبارات التالية صحيحة (T) أم خاطئة (F)، بناءً على معرفتك الشخصية بالملابس التي قد تكون مرتديا إياها حاليا:

5. ____ «أنا أرتدي ثيابًا، لستُ عاريًا.»

6. ____ «إنني أرتدي جوارب نظيفة.»

السؤال الأول واضح ومباشر إلى حدّ كبير. معظمنا سيجيب: «صحيح». وقد يجيب قلّة بصدق: «خطأ». وفي كلتا الحالتين، لن يكون هناك على الأرجح كثير من الجدل حول المسألة، إذا كان كلّ المعنيين على علم دقيق بحالة لباسك. هذا ما أسمّيه نوعًا من الحقيقة «الأبيض والأسود». فالعبارة إمّا صحيحة أو خاطئة بوضوح، ومن المرجّح جدًا أن يتفق كل من لديه معرفة دقيقة بالوضع.

كان الفصل السابق يدور أساسًا حول هذا النوع من الحقيقة «الأبيض والأسود»، أي الحقيقة من نوع «صحيح أو خطأ». وبالطبع، قد تنشأ خلافات حول هذا النوع من الحقيقة عندما لا يكون بعض الناس على الأقل على معرفة دقيقة بالحقيقة ذات الطابع الأبيض والأسود قيد النظر.

أما السؤال الثاني أعلاه (المتعلق بجواربك) فمن المرجّح أن تكون الإجابة عنه أصعب. إذا كنتَ مثلي، فأنا أميل إلى الاستياء من مثل هذا السؤال. فالسؤال ليس غير ملائم اجتماعيًا فحسب، بل أعتقد أن الموضوع أعقد مما يستطيع جواب بسيط بصحيح أو خطأ أن يعبر عنه. أنا أرتدي جواربٍ وأنا أكتب هذا، ولكن هل هي «نظيفة»؟ قد لا تكون جواربي نظيفة تماما، لكنني لا أعدّها متسخة أيضا. لا يبدو أن «صحيح» ولا «خطأ» جوابٍ دقيق. أعدّ جواربي نظيفة فور غسلها، ولكن ما إن أرتديها حتى تبدأ مباشرة بالانتقال من النظافة نحو الاتساخ. أفضّل أن أعدّها أنظف مما هي متسخة، مع أنها لم تعد نظيفة تماما. قد تفضّل أن تسمي جواربي ببساطة «متسخة» ما إن أرتديها.

يراد من هذا النقاش الغريب توضيح مسألة مهمة: بعض جوانب الحقيقة ليست بطبيعتها «أبيض أو أسود»، بل يُفهم على نحو أفضل أنها مسائل درجات. أي

إن بعض الأشياء يفهم على نحو أفضل على أنها «درجات من الرمادي» لا على أنها بطبيعتها «أبيض أو أسود». إذا حاولنا اختزالها إلى وقائع أبيض أو أسود، أو وقائع صحيحة أو خاطئة، فسيكون فهمنا لها سطحيا جدًا. ولأجل النقاش، سأشير إلى هذا النوع من الحق أو المفهوم بوصفه «رماديًا»، أو «أكثر رمادية»، أو من «درجات الرمادي»، لا «أسود وأبيض».

وهذا يقودنا إلى تلخيص مبدأ مهم آخر، أراه بديهيًّا:

بعض الحقائق أسود وأبيض،
في حين أن حقائق أخرى أكثر رمادية.

قد يأخذ بعضكم على استدلالي أعلاه. قد تدّعون أن العبارة الأولى التي تحتمل الصواب أو الخطأ ليست حقًّا مسألة أسود وأبيض. فعلى سبيل المثال، قد يكون على شخص ما من الثياب قدر قليل جدًا بحيث يكون الجواب الصحيح موضع نقاش. وهذا يوضح مفهوما مهما آخر:

بعض الحقائق التي تبدو أسود وأبيض
قد تنطوي أحيانا على درجات الرمادي.

لمزيد من التأمل:

- هل توافق على أن بعض الحقائق تنطوي على درجات الرمادي؟ ولماذا، أو لم لا؟
- هل توجد مشكلة في حياتك قد يكون حلها أيسر إذا فُهم أنها تنطوي على درجات الرمادي، بدلًا من التعامل معها كقضية أسود وأبيض؟

****

الفصل 4
حسن أم سيئ؟

تحمّلني قليلًا إذ أطلب منك أن تجيب عن بضعة أسئلة أخرى من نوع الصواب والخطأ. هذه الأسئلة أطول من الأسئلة السابقة، ولكن، إذا قرأتها بعناية، فأظن أنك ستجد أنها ليست صعبة جدا. يرجى النظر فيما إذا كانت العبارات التالية صحيحة (T) أم خاطئة (F)، استنادا إلى عاداتك الشخصية في التسوق:

7. ____ «لو كنتُ بصدد شراء رغيف خبز، وخُيِّرتُ بين رغيف خبز طازج ورغيف خبز قديم متعفّن (وكانَ الرغيفان فيما عدا ذلك متماثلين وبالسعر نفسه)، لاشتريت رغيف الخبز القديم المتعفّن، لا رغيف الخبز الطازج.»

8. ____ «لو كنت أتسوق لشراء كرسي، وخُيِّرت بين كرسي يبدو أنه بحالة جيدة وكرسي له ساق مكسورة (مع أن الكرسيين متشابهان في ما عدا ذلك وبالسعر نفسه)، لاشتريت الكرسي ذا الساق المكسورة.»

آمل أنك لم تجد صعوبة كبيرة في اتخاذ القرار. أفترض أنك على الأرجح مثلي: فبالنسبة إليّ، كلتا العبارتين خاطئتان قطعا! لماذا يهمني ما إذا كان الخبز «طازجا» أم «قديما ومتعفنا»؟ لماذا أفضّل كرسيا ليست له ساق مكسورة؟ أليس ذلك ببساطة لأنه، حين يتعلق الأمر بالخبز، يكون «القديم والمتعفن» سيئا بينما يكون «الطازج» جيدا؟ وفي ما يتعلق بالكرسيين، أليست «الساق المكسورة» سمة سيئة، بينما «الحالة الجيدة» سمة حسنة؟ ألسنا نكاد دائما نفضّل أن يكون الشيء جيدا لا سيئا؟

وهذا يقودنا إلى حقيقتين بديهيتين أخريين:

بعض الأشياء خيّرة،
وبعض الأشياء شريرة.

ينبغي عادةً قبول الأشياء الخيّرة،
بينما ينبغي عادةً رفض الأشياء الشريرة.

وبالطبع، قد يكون من المناسب أن يصلح المرء الكرسي المكسور، حتى يصبح الكرسي جيداً مرة أخرى. وقد يصلح الخبز القديم المتعفّن سماداً جيداً (ولكن ليس خبزاً جيداً). وهكذا نرى أن مفهوم الخير والشر قد يصير معقّداً. ومع ذلك، فإن هذا لا يبطل الحقائق البديهية المذكورة أعلاه. إن لمصطلحي «الخير» و«الشر» معانٍ حقيقية، ويستخدمان لوصف أشياء حقيقية ذات عواقب حقيقية تهمّنا حقاً.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الأشياء التي تعدّها خيّرة؟
- ما بعض الأشياء التي تعدّها شريرة؟
- هل توجد في حياتك بعض الأشياء الشريرة التي ينبغي لك أن تتخلّص منها؟

****

الفصل 5
صواب أم خطأ؟

مرة أخرى، سنبدأ بسؤال صواب أو خطأ. يُرجى أن تتأمل هل العبارة التالية صحيحة (T) أم خاطئة (F)، استنادًا إلى معتقداتك الشخصية:

9. ____ «أعتقد أنه لا بأس بأن يعذّب شخصٌ رضيعًا بأي وسيلة كانت، إذا كان فعل ذلك جزءًا من دين ذلك الشخص.»

على حدّ فهمي، قد يجيب بعضُ الناسِ عن ذلك السؤال بقولهم: «صحيح». غير أنني لا أظن أنني التقيت يومًا أيَّ شخصٍ يعترف لي بذلكٍ صراحةً. فإن صادف أنك شخص كهذا، فيرجى أن تنظر في عبارة مختلفة قليلًا:

10. ____ «أعتقد أنه لا بأس بأن يعذبني أي شخص بأي طريقة كانت، إذا كان ذلك جزءًا من دين ذلك الشخص. وسأدعهم يعذبونني من غير أن أقاومهم، لأن مقاومتي لهم ستحدّ من حريتهم الدينية».

إذا كنت صادقًا، ولست مجنونًا، فأظن أنك على الأرجح توافقني على أن الإجابة عن العبارة الثانية هي «خطأ». وبافتراض أنك أجبت عن واحدة على الأقل من هاتين العبارتين بـ«خطأ»، فإن هذا يكشف مغالطة بشأن «حرية الدين». فقليل من الناس يؤمنون حقًا بحرية دينية بلا حدود. ولماذا لا؟ هل في تعذيب الناس لأغراض دينية شيء خاطئ في ذاته؟ بالطبع يوجد. وهذا بديهي.

ماذا لو فُعلت مثل هذه الأشياء للمتعة، لا لأغراض دينية؟ هل سيجعل ذلك مثل هذه الأشياء صائبة؟ بالطبع لا.

ومن ناحية أخرى، هل في معارضة مثل هذه الممارسات شيء صائب؟ بالطبع يوجد. وهذا أيضا بديهي. وهذا يقودنا إلى حقيقتين بديهيتين أخريين:

بعض الأمور صائبة أخلاقيًا،
وبعض الأمور خاطئة أخلاقيًا.

ينبغي عادة إعتناق الأمور الصائبة؛
وينبغي عادة رفض الأمور الخاطئة.

لاحظ أن هذا المفهوم لـ«الصواب أو الخطأ» يختلف عن مبدأ «الجيد أو السيئ» الذي نوقش في الفصل السابق. في هذا الفصل، تنطوي كلمتا «الصواب» و«الخطأ» على الأخلاق، بينما في الفصل السابق لم تكن كلمتا «الجيد» و«السيئ» تنطويان على الأخلاق.

وهذا يقودنا إلى مشكلة الدلالة. لكثير من الكلمات معان متعددة، أو ظلال من المعنى، وقد يؤدي استخدام مثل هذه الكلمات إلى الالتباس. وللأسف، لا توجد إلا كلمات قليلة لا تعاني من هذه المشكلة بدرجة ما، ولذلك لا مفر لنا من هذه المشكلة. فعلى سبيل المثال، في اللغة الإنجليزية، قد تستخدم كلمتا «good» و«bad» فيما يتعلق بالنشاط الأخلاقي (مثل ما إذا كنا نعامل الآخرين بطريقة جيدةٍ أو سيئةٍ)، وكذلك فيما يتعلق بأمور غير أخلاقية (مثل ما إذا كان الخبز جيدا أو سيئا، أو ما إذا كان أداء موسيقي جيدا أو سيئا). قد تستعمل كلمتا «صواب» و«خطأ» أيضا لتوضيح مسائل الأخلاق، أو قد تستعملان لمجرد بيان صحة شيء ما، مثل ما إذا كانت إملاء كلمة ما صوابا أم خطأ. ومع ذلك، فإننا لا نسمي عادة الخبز الطازج «صوابا» ولا الخبز المتعفن «خطأ». وعادة ما يتضح المعنى المقصود من الكلمة من السياق الذي تستعمل فيه.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الأشياء التي تعدّها صائبة؟
- ما بعض الأشياء التي تعدّها خاطئة؟

****

الفصل 6
بارّ أم غير بارّ؟

مرةً أخرى، لنبدأ بسؤالين من نوع الصواب والخطأ. يرجى النظر فيما إذا كانت العبارات الآتية صائبة (T) أم خاطئة (F)، استنادا إلى معتقداتك الشخصية وأفعالك:

11. ____ «إن جميع الناس خيّرون في الأساس، ويحاولون باستمرار أن يفعلوا ما هو صواب.»

12. ____ «إنني أفعل دائمًا ما هو صوابٌ أخلاقيًا، ولا أفعل أبدًا أي شيء يكون خطأً أخلاقيًا.»

رأينا في الفصل السابق أن بعض الأمور صائبةٌ أخلاقيًا، وأن بعض الأمور خاطئةٌ أخلاقيًا. قد نختلف حول ما هو صواب وما هو خطأ (فيما يتعلق بموضوعات بعينها)، لكن يبدو واضحًا بصورة مؤلمة أن بعض الأمور، على الأقل، صائبةٌ أخلاقيًا وأن بعض الأمور خاطئةٌ أخلاقيًا. ويكاد يكون واضحًا بالقدر نفسه أن بعض الناس يفعلون عمدًا أمورًا خاطئة أخلاقيًا، بينما يبدو أن آخرين يفعلون عمدًا أمورًا صائبة أخلاقيًا.

لذلك، بالنسبة إليّ، فإن العبارة الأولى من عبارات صح أم خطأ هي بوضوح «خطأ». يبدو أن العالم مليء بأناس لا يحاولون باستمرار أن يفعلوا ما هو صواب. ليس من الصعب العثور على أمثلة؛ انظر في أي صحيفة تقريبًا، ومن المرجح أن تجد بعض الأمثلة الجيدة.

أما العبارة الثانية فهي أصعب. قد أحاول في الوقت الحاضر أن أفعل دائمًا ما هو صواب أخلاقيًا، لكنني، إن كنت صادقًا مع نفسي، لا أفعل دائمًا الشيء الصائب أخلاقيًا. أحب أن أظن أن إخفاقاتي الأخيرة كانت غير مقصودة، لكنني لست واثقًا تمامًا من أن نظرة أدق ستنتهي دائمًا إلى هذا الاستنتاج. وفي كلتا الحالتين، فأنا لا أفعل دائمًا ما هو صائب أخلاقيًا. ومرة أخرى، فإن جوابي هو «خطأ».

إذا كنت صادقًا مع نفسك، فأظن أنك أنت أيضًا أجبتَ بـ«خطأ» عن تلك العبارة الثانية. فإن كان الأمر كذلك، فهذا يثير التساؤل عما إذا كان أي

إنسانٍ بارا على نحوٍ كاملٍ أم لا. هل يوجد أحد يفعل دائما ما هو صائب أخلاقيا، ولا يفعل أبدا شيئا خاطئا أخلاقيا؟ غير أن هذا السؤال يتجاوز نطاقنا الحاضر في تناول الحقائق «البديهية». أما الآن، فلنتناول فحسب المسألة الأكثر وضوحا، وهي ما إذا كان بعض الناس يسعون إلى فعل ما هو صائب أخلاقيا أكثر من بعض الناس الآخرين. ولأغراضنا الحاضرة، فلنستخدم تعريفا لـ«البار» يكون نسبيا أكثر منه مطلقا:

البار: من يبذل عمومًا جهدًا لفعل ما هو صائب أخلاقيًا، ويتجنب الأمور الخاطئة أخلاقيا.

تأمّل أن عددًا كبيرًا من الأفلام يقوم على موضوع الصراع بين الخير والشر. فبعض الشخصيات في هذه الأفلام تصور عموما على أنها بارة، أي تفعل في الجملة ما هو صواب أخلاقيا، بينما تصور شخصيات أخرى على أنها غير بارة، أي تفعل في الجملة ما هو خطأ أخلاقيا. وعادة ما يكون هذا التمييز واضحا، ويبدو أنه كوني في جميع الثقافات.

وهذا كله يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

بعض الناس أبرار،
وبعض الناس غير أبرار.

والآن، لنكن واضحين. هذه الحقيقة ليست حقيقة من نوع الأبيض والأسود؛ بل تنطوي على درجات رمادية. فهي لا تدّعي أن كل إنسان يندرج بدقة في فئة كونه بارا أو غير بار. ولا تدّعي كذلك أن أحدا بار تماما أو غير بار تماما. إنما تؤكد فحسب أن بعض الناس يحاولون حقا أن يفعلوا ما هو صواب أخلاقيا، وأن بعض الناس لا يفعلون ذلك. وربما يكون كثير من الناس في موضع ما بينهما، بدرجات متفاوتة من السعي إلى فعل ما يعدّونه صوابا أخلاقيا.

لمزيد من التأمل:

- تأمل حياتك الخاصة. هل تفعل باستمرار ما تعلم أنه صواب أخلاقيًا؟ ولماذا، أو لم لا؟

****

الفصل 7
جماعات مختلفة

ننتمي جميعًا إلى جماعات متنوعة. بعض الجماعات نرتبط بها طوعًا، وانتماءاتنا إلى جماعات أخرى تكون غير طوعية. تتضح بعض الأمثلة على ما يعدّ غالبًا انتماءات جماعية **غير طوعية** من خلال بضعة أسئلة:

- هل أنت ذكر أم أنثى؟
- ما البلد الذي تحمل جنسيته؟ (أو هل أنت ضمن جماعة عديمي الجنسية؟)
- ما لغتك الأم؟
- هل تجاوزت الخمسين من عمرك، أم أنك دون الخمسين؟

كما تتضح بعض الأمثلة على الجماعات التي قد تُعد انتماءات **طوعية** من خلال بعض الأسئلة:

- هل أنت متدين أم لا؟ إذا كان الأمر كذلك، فأي جماعة دينية تنتمي إليها؟ أم أنك جزء من جماعة الناس الذين يعدّون أنفسهم غير متدينين؟
- هل أنت من ضمن المجموعة التي تلقّت اللقاح المضاد لشلل الأطفال؟
- هل أنت منتمٍ إلى حزب سياسي؟ أم أنك من ضمن فئة الأشخاص الذين لا ينتمون إلى أي حزب؟
- هل أنت من محبي رياضة معيّنة؟ هل تمارس رياضة معيّنة بنشاط؟

إن التمييز بين ما يُعدّ رابطة «طوعية» وما يُعدّ رابطة «غير طوعية» لا يكون واضحا جدا في كثير من الأحيان، وقد يختلف بعض الشيء باختلاف الثقافة. فعلى سبيل المثال، لا يعدّ كثير من الناس دينهم رابطة طوعية، إذ قد لا تشجع ثقافتهم حرية الاختيار في هذا المجال. مثال آخر: قد يكون التطعيم ضد شلل الأطفال مطلوبا قانونيا لكثير من الناس، وفي هذه الحالة قد يعدّ الانتماء إلى فئة «المطعّمين» ارتباطا جماعيا غير طوعي. أو ربما قام والداك بتطعيمك، ولم يكن لك في الأمر إلا قدر ضئيل من الاختيار، ولا سبيل الآن إلى أن تصبح غير مطعّم.

وعلى أي حال، يقودنا هذا إلى حقيقتين بديهيتين آخريين:

يرتبط كل إنسان بجماعات شتى.

بعض الارتباطات بالجماعات طوعي؛
وبعض الارتباطات بالجماعات غير طوعي.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الجماعات التي تنتسب إليها؟
- أيٌّ من تلك الجماعات أنت جزء منها طوعًا؟
- وأيٌّ من تلك الجماعات أنت جزء منها بغير اختيارك؟

****

الفصل 8
مسارات مختلفة

إلى حدّ ما، يسلك كل واحد منا مسارًا مختلفًا في الحياة. حتى التوأمان المتماثلان يسلكان مسارين مختلفين، وإن كان تكوينهما الجيني واحدًا. وتظهر «المسارات» المختلفة للتوأمين المتماثلين حتى عند الولادة: إذ يولد أحدهما أولًا، ويولد الآخر ثانيًا. ومع أن هذا التمييز قد لا يكون إلا مسألة توقيتٍ، فإنه يظل فرقًا ذا شأن. ومن هناك ستزداد حياتاهما تباعدًا. فلن يشغلا أبدًا الحيز نفسه تمامًا في الوقت نفسه، ومن المرجح أن ينتهيا إلى شخصيتين مختلفتين اختلافًا كبيرًا، وإلى مسارين في الحياة مختلفين اختلافًا كبيرًا.

ومع أن هناك طرقًا لا تُحصى يكون بها مسار كلٍّ منا في الحياة مختلفًا على نحو فريد عن مسار أي شخص آخر، فهناك أيضًا طرقٌ أوسع للنظر إلى «المسارات المختلفة» تنطبق على جماعات من الناس أكثر مما تنطبق على الأفراد. تميل الجماعات المختلفة إلى أن تشترك في بعض المسارات المشتركة.

فعلى سبيل المثال، يختار بعض الناس اتباع دين معيّن مع أشخاص آخرين يشاركونهم الفكر نفسه. ويختار بعض الناس اتباع مسار مهني معيّن، مع أشخاص آخرين يسعون إلى مهن مشابهة في مجال العمل نفسه. ويختار بعض الناس مسارًا للتعلّم يتضمن الالتحاق بكلية أو جامعة معيّنة؛ بينما يختار بعض الناس مسارات أخرى. يمضي بعض الناس في مسار الزواج والأبوّة والأمومة، بينما لا يفعل بعضهم ذلك. وهذه الأنواع من المسارات تشترك فيها جماعات من الناس.

يقودنا هذا إلى حقيقة بديهية أخرى، تنطبق على الأفراد كما تنطبق على جماعات الناس:

يسلك أناس مختلفون مسارات مختلفة.

لنتأمل هذا الأمر بمزيد من التفصيل من منظور أخلاقي. لقد رأينا سابقًا أن بعض الناس «أبرار» وبعض الناس «غير أبرار» بدرجات متفاوتة. يتعمّد بعض الناس فعل أمور خاطئة أخلاقيًا، بينما يبدو أن آخرين يتعمدون فعل أمور

صائبة أخلاقيا. فعلى سبيل المثال، يحاول بعض الناس بصدق أن يعيشوا وفق «القاعدة الذهبية»:

- «عاملوا الآخرين كما تحبون أن يعاملوكم.»

ويفضّل آخرون أن يعيشوا وفق تحوير ملتوي لتلك القاعدة:

- «عاملوا الآخرين قبل أن يعاملوكم.»

يمكن النظر إلى هذه الطرق المختلفة في معاملة الآخرين بوصفها مسارين مختلفين في الحياة، وهذا يقودنا إلى نتيجة مهمة أخرى:

بعض الناس يسيرون في مسار فعل الصواب؛
وبعض الناس يسيرون في مسار فعل الخطأ.

لاحظ أن هذه النتيجة لا تزعم أن جميع الناس سائرون بوضوح في أحد هذين المسارين. هذه حقيقة أخرى من حقائق «درجات الرماديِ». قد يكون كثير من الناس على مسار ما في الوسط، يفعلون الصواب أحيانًا، ويفعلون الخطأ أحيانًا. غير أن هذه الحقيقة تؤكد ما هو بديهي: أن بعض الناس يعيشون ببرٍ أعظم بكثير من بعض الناس الآخرين الذين لا يبذلون إلا قليلًا من الجهد في ذلك، أو لا يبذلون أي جهد. هؤلاء الناس يسيرون في مسارات مختلفة.

لمزيد من التأمل:

- كيف تصف بعض المسارات التي سارت فيها حياتك؟
- هل كنت باستمرار على مسار فعل الصواب؟
- ما بعض الدروب التي تودّ أن تسير فيها؟

****

الفصل 9
مصائر مختلفة

رأينا في الفصل السابق أن أناسًا مختلفين يسيرون في دروب مختلفة عبر الحياة. وكما أن الدروب الحرفية المختلفة، مثل المسالك والطرق، تؤدي إلى وجهات مختلفة، كذلك تؤدي الدروب المختلفة عبر الحياة إلى مصائر مختلفة.

من الجلي أن مصائر الناس تتأثر تأثرًا شديدًا بالدروب التي يسيرون فيها. فالرياضيون الذين يختارون درب التدريب المنتظم يصبحون عمومًا رياضيين أفضل. والأشخاص الذين يتبعون نمط حياة خاملًا يصبحون عموما أضعف. والطلاب الذين يدرسون بجد يكتسبون مزيدًا من المعرفة والمهارات. والأشخاص الذين يسيرون في درب شرب كميات كبيرة من الكحول يميلون إلى أن يصبحوا مدمنين على الكحول. والأشخاص الذين يمارسون الإحسان إلى الآخرين يميلون إلى أن يصبحوا أكثر إحسانًا. والأشخاص الذين يختارون تعاطي المخدرات غير المشروعة غالبًا ما يصبحون مدمني مخدرات. والأشخاص الذين يفعلون الشر يصبحون عموما أكثر براعة في فعل الشر. ودرب فعل الصواب يؤدي إلى ازدياد البر. ودرب فعل الخطأ يؤدي إلى ازدياد الإثم.

إن الرياضيين الجيدين، والأشخاص المهرة، والأبرار، والأشرار، وسائر أصناف الناس لا يوجدون هكذا مصادفة. فمصائرهم هي ثمرة سلوك مسارات مختلفة عبر الحياة. وهذا يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

المسارات المختلفة تؤدي إلى مصائر مختلفة.

إن المسارات التي نتبعها تحدد إلى حد كبير مصيرنا المستقبلي.

لمزيد من التأمل:

- تأمل الشخص الذي تود أن تكونه بعد عشر سنوات. هل تقودك المسارات التي تتبعها اليوم نحو ذلك المصير؟

****

الفصل 10
بداية أم بلا بداية؟

هل كانت لوجودك بداية؟ أظن أن بدايتك كانت شبيهة ببدايتي. بدأت حياتي حين اتحدت خلية منوية من أبي بخلية بويضة من أمي. وبالطبع، كان للبويضة والخلية المنوية بدايتانِ منفصلتان في زمن أسبق، وكانت لأمي وأبي بدايتان متميزتان قبل ذلك أيضا بطريقة مشابهة. ويبدو أن كل مخلوق حي قد كانت له بدايته بطريقة مشابهة، من حياة سابقة.

وبالمثل، للنباتات بداياتٍ كبذور من أنواع معينة، أو كفسائل من جذور نباتات أخرى، أو ربما كعقَل نباتية غرست في التربة ونمت لها جذور.

يبدو أن كل شيء غير حي له أيضًا نوعٌ من البداية. يمكن ردُّ الأشياء التي صنعها الإنسان إلى مختلف المواد الخام المستخدمة في صنعها. وللمواد الخام أيضا نوعٍ من التاريخ الخاص بها، مع نوعٍ من البداية. اقترح العلماء أعمارا مختلفة للأرض نفسها، تتصل بكون الأرض قد كان لها بداية منذ زمن بعيد. وحتى الكون بأسره يفهم على نطاق واسع أن له بداية، وفق وجهة نظر علمية شائعة تلخصها عبارة «نظرية الانفجار العظيم».

وهذا يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

لكل شيء بداية.

لمزيد من التأمل:

- هل يمكنك أن تفكر في أي شيء موجود ماديًا اليوم لم تكن له بدايةٌ من نوعٍ ما؟

****

الفصل 11
إيمان أم لا إيمان؟

إليك تعريفًا بسيطًا للإيمان:

الإيمان: الاعتقاد بشيء لم يُلاحَظ مباشرةً.

استنادًا إلى هذا التعريف البسيط، لنتأمل بعض الأمور التي تنطوي على الإيمان:

- عندما أقود عبر إشارة خضراء عند تقاطع، يكون لدي عمومًا إيمان بأن إشارة حمراء ظاهرة لحركة المرور المتقاطعة (التي قد تصطدم بسيارتي لولا ذلك). ينطوي هذا على الإيمان، لأنني عادة لا أستطيع أن أرى مباشرة الضوء الأحمر الذي يأمر حركة المرور المتقاطعة بالتوقف. لا يتطلب الأمر إيمانًا للاعتقاد بأن إشارة التوقف موجودة، إذ يمكن عادة رؤيتها، لكنه يتطلب قدرا من الإيمان للاعتقاد بأنها تعمل على نحو صحيح.
- عندما أجلس على كرسي، أمضي عادةً دون تردد، لأن لديّ عادةً إيمانًا بأن الكرسي سيسندني ولن ينكسر تحت وزني. يتعلق الإيمان بقوة الكرسي، لا بوجود الكرسي.
- عندما أعبر فوق جسر، يكون لديّ قدر من الإيمان بأن الجسر لن ينهار. لو لم يكن لديّ قدر من الإيمان بأن الجسر سيسندني، لما عبرته. ومرة أخرى، يتعلق الإيمان بسلامة الجسر، لا بوجود الجسر.
- عندما أنتظر عند موقف حافلات حافلةً تقلّني إلى مكان ما، يكون لديّ على الأقل قدر من الإيمان بأن حافلة ستأتي، حتى إن كنت لا أستطيع أن أراها مباشرة وهي قادمة حتى تقترب. لو لم يكن لديّ إيمان بنظام الحافلات، لما انتظرت قدوم حافلة.
- إنّ الذين يتّبعون فلسفة الطبيعانية يكون لديهم عمومًا إيمان بأن كل ما يحدث في الكون يمكن تفسيره بمبادئ علمية طبيعية. وهذا ينطوي على إيمان، إذ لا يستطيع أحد أن يلاحظ مباشرة كل ما يحدث، فضلا عن أن يفسّره كله.

- والذين يؤمنون بأمور خارقة للطبيعة يعتقدون عموما أن العلم الطبيعي لا يستطيع تفسير كل ما يلاحظونه ويختبرونه. ولديهم قدرٍ ما من الإيمان بشخص أو شيء خارق للطبيعة، لا يمكن ملاحظته مباشرة (أو على الأقل لا يمكن ملاحظته مباشرة على نحو متسق قابل للتكرار).

قد تعترض على بعض أمثلتي. كثير من الناس لم يربطوا قط «الإيمان» بأمور مثل المرور عبر إشارات التوقف، والجلوس على الكراسي، والمرور فوق الجسور. قد تكون واثقا جدا من سلامة مثل هذه الأشياء حتى إنك لا تعد الإيمان داخلا في الأمر حين تعتمد عليها. غير أنك إذا لم تتحقق مباشرة من سلامة مثل هذه الأشياء، فيبدو لي أن لديك «اعتقادا بشيء لم يلاحظ مباشرة» حين تعتمد على سلامتها. سأسمي مثل هذه الثقة القوية «إيمانا قويا» بدلا من القول إن الإيمان ليس داخلا في الأمر.

يمكننا أن نرى من هذه الأمثلة أن قوة إيماننا بأشياء مختلفة تعتمد غالبا على خبرتنا السابقة بأشياء مماثلة. فالناس الذين انهار كرسي تحتهم، أو سقط جسر من تحتهم، أو أصيبوا بسبب تعطل إشارة مرور، يكون لديهم عموما إيمان أقل بمثل هذه الأشياء ممن لم يختبروا مثل هذه الإخفاقات.

من الأمثلة السابقة، أظن أنه من الواضح أن لدى كل إنسان إيمانا ببعض الأشياء، بدرجة ما، في مجالات كثيرة من الحياة. وهذا يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

لدى كل إنسان قدر من الإيمان ببعض الأمور.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الأمور التي تؤمن بها وتنطوي على الإيمان؟

****

الفصل 12
العالم الروحي أم لا؟

يبدو أن بعض الناس يعتقدون أنه إذا تعذّرت رؤية شيء ما أو قياسه مباشرةً، فهو غير موجود.

ويبدو لي هذا الرأي غريبًا، إذ إن كثيرًا مما يقبله العلم لا يمكن رؤيته أو قياسه مباشرةً. خذ، على سبيل المثال، موجات الراديو. هل تؤمن بأنها موجودة؟ لماذا، أو لماذا لا؟ هل سبق لك أن رأيت واحدة منها أو شعرت بها؟ أنا لم أرَ واحدة منها، ولا أظن أنك رأيت أيضًا. ومع ذلك أظن أنك تؤمن بوجودها. لماذا؟ لعل ذلك لأنك تختبر أدلة على وجودها كلما استمعت إلى مذياع أو استخدمت أي نوع من الاتصالات اللاسلكية القائمة على موجات الراديو. تقودك هذه الأدلة غير المباشرة إلى الإيمان بأن موجات الراديو موجودة.

وبالمثل، هل يعني عجزنا عن رؤية العالم الروحي أو اختباره مباشرةً أنه غير موجود؟ بالطبع لا. ومع ذلك، لا بد من وجود دليل معقول كي يؤمن العقلاء بأشياء لا يمكن ملاحظتها مباشرةً، سواء كنا نتحدث عن موجات الراديو، أو عن العالم الروحي، أو عن شيء آخر. إذن، فلنتأمل بعض الأدلة على وجود العالم الروحي.

- لعل أقوى الأدلة يكمن في معتقدات ملايين الناس وخبراتهم عبر آلاف السنين. لقد آمنت جميع الثقافات تقريبًا، في كل العصور، بنوعٍ ما من العالم الروحي. وسيكون في ذلك شيء من الغرور أن نتجاهل تمامًا خبرات هذا العدد الكبير من الناس من دون دليل راسخ على خلاف ذلك. هل كان يمكن لهذا العدد الكبير من الناس أن يعيشوا في خداع بشأن هذه المسألة طوال هذه السنين إذا كانت الحقيقة أنه لا وجود للعالم الروحي؟ لا أظن ذلك.
- يدّعي ملايين الناس الأحياء اليوم (وربما مليارات الناس) أن لهم خبرات روحية تتصل بالعالم الروحي. هل كل أولئك الناس مخدوعون بشأن خبراتهم؟ أرى أنه من غير المرجح جدًا أن تكون كل هذه الادعاءات بلا أي وجاهة.

- كثيرا ما يقدم أشخاص ماتوا ثم عادوا إلى الحياة شهادات بشأن خبرات ما بعد الموت، وهي تتصل عموماً بالعالم الروحي. هل كل هذه الخبرات لا أساس لها؟ لا أظن ذلك.
- يزعم كثير من الناس أنهم شهدوا «معجزات» لا يمكن تفسيرها بالعلم الطبيعي. وكثيرا ما ينسب الأشخاص الذين يختبرون مثل هذه المعجزات حدوثها إلى نوع من القوة الروحية وإلى عالم روحي.
- ومن منظور علمي، تشير «نظرية الأوتار» الحديثة إلى أن للكون أبعادًا أكثر بكثير من تلك التي ندركها إدراكا مباشرا. ويفترض وجود عالم موازٍ، لا نعيه إلى حد كبير، لتفسير نماذج نظرية الأوتار. حتى العلم الحديث يبدو أنه يميل إلى وجود ما أشير إليه باسم «العالم الروحي».

ويبدو أن كل هذه الأدلة تفضي إلى حقيقة بديهية أخرى:

إن العالم الروحي موجود.

لمزيد من التأمل:

- هل مررت بأي خبرات شخصية تُعدّ دليلًا على وجود عالم روحي؟

****

الفصل 13
الخلق أم عدم الخلق؟

سبق أن رأينا أن لكل إنسان إيمانًا بدرجة ما بشأن بعض الأمور. ورأينا أيضًا أن كلًّا من الاعتقاد بالمذهب الطبيعي (أن كل شيء يمكن تفسيره من خلال العلم الطبيعي) والاعتقاد بالقوى الفائقة للطبيعة (أن بعض الأشياء لا يمكن تفسيرها من خلال العلم الطبيعي) ينطويانِ على الإيمان. لا يستطيع أن يدّعي ذلك إلا «اللاأدري» (أي من لا يتخذ موقفًا بشأن مثل هذه الأمور) أن يدّعي أنه لا يملك إيمانًا بشأن مثل هذه الأمور.

وعندما يتعلق الأمر بمسألة «الخلق أو عدم الخلق»، فإننا نواجه مسألة إيمان مشابهة. لا يستطيع أيٌّ منا أن يلاحظ مباشرةً ما حدث «في البدء»، ولذلك فإن أي معتقدات لدينا بشأن كيفية مجيء الكون والحياة إلى الوجود تنطوي على قدر من الإيمان.

بالنسبة إليّ، إن أعظم دليل على الخلق (وهو ما يقتضي عمل قوة فائقة للطبيعة من نوع ما) هو العلم. من خلال العلم، تضاعفت معرفة البشرية بالأمور الطبيعية تضاعفًا كبيرًا. إن أشياء كثيرة كان يظن في وقت مضى أنها بسيطة، بات من المعروف الآن أنها شديدة التعقيد. إن التعقيد الهائل للحياة وتعقيد الكون يبدوان لي أعظم بكثير من أن يكونا قد حدثا اعتمادًا على القوى الطبيعية والوقت والمصادفة وحدها. حين أنظر إلى كون معقد، وإلى حياة معقدة في هذا العالم، أرى «خلقًا»، لا شيئًا ناتجًا عن المصادفة العشوائية والوقت.

ويتبنّى بعضُ مَن يعتقدون خلاف ذلك وجهةَ نظر تشارلز داروين، الذي كتب كتاب "أصل الأنواع" (الذي نشر أصلًا عام 1859). وفي ذلك الكتاب، يروّج السيد داروين لفكرة أن الحياة المعقّدة قد تطوّرت عبر فترات طويلة من الزمن بفعل الزمن والمصادفة، من دون تدخّل خالق فائق للطبيعة. وفي الصفحة 194 (في الطبعة التي نشرتها دار P.F. Collier & Son، حقوق النشر 1909، وحرّرها Charles W. Eliot) يكتب:

"لو أمكن إثبات وجود أي عضو معقد لم يكن من الممكن إطلاقا أن يتكوّن عبر تعديلات عديدة، متعاقبة، طفيفة، فإن نظريتي ستنهار انهيارا تامًّا. لكنني لا أجد حالة كهذه."

ومع أن هناك كثيرًا من الأدلة على أن «التطوّر الصغير» يحدث بالفعل (كما لاحظ السيد داروين على نحو صحيح)، فإنه، على حدّ علمي، لم يلاحظ أحد قط حدوث «التطوّر الكبير» (أي تحوّل نوع من الحيوان إلى نوع آخر، أو نشوء الحياة من مادة غير حيّة). لم يلاحظ أحد قط أي «عضو معقّد» يتكون «بتعديلات عديدةٍ، متعاقبة، طفيفة» من نوع آخر من الأعضاء. يظهر السيد داروين نفسه شخصا يؤمن بمعتقدات المذهب الطبيعي، إذ يعتقد أن مثل هذه الأشياء قد حدثت بفعل المصادفة العشوائية والزمن في الماضي، مع أن مثل هذه الأشياء لا يلاحظ حدوثها في أي مكان اليوم.

ومنذ زمن السيد داروين، أظهر علم الأحياءِ الجزيئي أن حتى خلية حية واحدة فقط هي بالغة التعقيد. ولا يزال العلم عاجزا عن إيجاد خلية حية واحدة من مادةٍ غير عضوية عديمة الحياة، ولا يستطيع العلم حتى الآن أن يفسّر تفسيرا كاملا كيف تعمل الخلايا. وفي رأيي، من البديهي أن كل خلية حية موجودة اليوم هي من التعقيد بحيث لا يمكن أن «تكون قد تكوّنتٍ بتعديلات عديدة، متعاقبة، طفيفة» من مادة عديمة الحياة. وأخلص، استنادا إلى تصريح السيد داروين نفسه، إلى أن العلم الحديث قد أظهر أن نظريته «تنهار انهيارا تاما.» وهذا يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

يوجد خلق.

لمزيد من التأمل:

- ما رأيك أنت؟ هل يُحتمل أن يكون كوننا المعقّد، بما فيه من حياة معقّدة، قد وجد لمجرّد الزمن والمصادفة، من دون أن تعمل فيه أي قوى فائقة للطبيعة؟

****

الفصل 14
خالق أم لا خالق؟

في الفصل السابق خلصتُ إلى أن هناك خلقًا، وأن كونًا معقّدًا بحياة معقّدة لم يكن يمكن أن يحدث لمجرّد الزمن والمصادفة. وهذا يقتضي منطقيًا نوعًا ما من خالق فائق للطبيعة. على مستوى ما، ينبغي أن يكون ذلك المنطق البسيط كافيًا لحقيقة بديهية أخرى. لكن أولًا، دعونا نستكشف مفهوم «الخالق» هذا بمزيد من التفصيل.

هل تأملت يومًا أعجوبة التمثيل الضوئي؟ التمثيل الضوئي هو المصطلح المستخدم لوصف كيفية جمع بعض الخلايا النباتية بين طاقة ضوء الشمس وثاني أكسيد الكربون (CO_2) والماء (H_2O) لتكوين جزيئات عضوية معقدة (مع كون الأكسجين عادة ناتجًا ثانويًا لتلك العملية). والجزيئات العضوية المعقّدة هي لبناتٍ بناء الحياة، كما أنها توفر شكلًا كيميائيًا لتخزين الطاقة. وتتطلب أجسامنا إمدادًا منتظمًا من هذه الجزيئات العضوية المعقّدة لكي تبقى على قيدِ الحياة. وكثيرًا ما نسمّي الجزيئات العضوية المعقّدة المتنوعة التي نستهلكها «طعامًا». وفي حين أن جزءًا من فائدة الطعام يتمثل في مختلف الفيتامينات والمعادن التي تحتاج إليها أجسامنا، فإن جزءًا هائلًا من وظيفة الطعام هو ببساطة أن يزوّدنا بمصدر للطاقة نعيش به. وتستخدم أجسامنا الطاقة الكيميائية المخزنة في الجزيئات العضوية المعقّدة مصدرًا للطاقة لإدامة الحياة.

لاحظ أنني، بتعريفي لكلمة «طعام»، أستبعد المواد التي لا تمدّنا بالطاقة، مثل الملح والماء، مع أن هذه قد تختلط بجزيئات عضوية معقّدة، وقد يشار إلى الخليط بمجمله أيضًا على أنه «طعام». يشير لفظ «الطعام» في هذا النقاش أساسًا إلى الأشياء التي نأكلها والتي تمدّ أجسامنا بالطاقة اللازمة للحفاظ على الحياة.

هل سبق لك أن أكلت أي طعام غير عضوي؟ أعني بـ«الطعام غير العضوي» جزيئات معقّدة تشبه الجزيئات العضوية المعقّدة الموجودة في الطعام المستمد من النباتات والحيوانات، لكنها مصنوعة على يد البشر باستخدام مواد غير عضوية فقط، من دون استخدام النباتات جزءًا من عملية تحويل ثاني أكسيد الكربون والماء إلى تلك الجزيئات المعقّدة. أنا شبه متأكد من أنني لم آكل قط أي طعام غير عضوي، ولا أظن أنك فعلت ذلك أيضًا. لماذا لا؟ لأن البشرية،

في الوقتِ الراهن، عاجزة عن صنع الطعام من مواد غير عضوية، على الأقل بكميات يعتد بها. نعم، لقد صنع بعض العلماء جزيئات سكر بسيطة من مواد غير عضوية باستخدام إجراءات مخبرية خاصة (لا بالتمثيل الضوئي)، لكن هذا يكاد يكون كل ما في الأمر. وما زلنا نعتمد اعتمادا كاملا على النباتات في إمدادنا بالغذاء. (لاحظ أن الغذاء المشتق من الحيوانات تعود جزيئاته العضوية المعقدة في نهاية المطاف إلى النباتات بوصفها مصدرا لها، عند النظر إلى السلسلة الغذائية إجمالا.) ولا تستطيع إلا النباتات أن تصنع الغذاء بكفاءة عبر التمثيل الضوئي.

يظن بعض الناس أن أعجوبة التمثيل الضوئي بدأت تحدث ببساطة بفعل الزمن والمصادفة. غير أن حدوث التمثيل الضوئي بفعل الزمن والمصادفة لم يلاحظ قط. وعلى النقيض من ذلك، يلاحظ عادة أن ضوء الشمس يفكك الجزيئات المعقدة، لا يبنيها. وأرى أن وجود نباتات تصنع الغذاء مباشرة من ضوء الشمس وثاني أكسيد الكربون والماء هو دليل على «خالق» أذكى بكثير من البشر.

والآن لنفترض أن العلماء يطوّرون في نهاية المطاف طرائق لصنع الغذاء من مواد غير عضوية. فهل سيبطل ذلك استدلالي؟ لا، بل سيظهر فقط أن أمورا معقدة كالتمثيل الضوئي لا تحدث إلا بمساعدة قدر كبير من الذكاء، لا بمجرد الزمن والمصادفة.

وهذا يقودنا إلى حقيقة بديهية أخرى:

يوجد خالق.

لمزيد من التأمل:

- هل سبق أن رأيت أو أكلت أي طعام غير عضوي؟

****

الفصل 15
هل الخلق والخالق واحد؟

في الفصل السابق ابتعدنا عن نطاق الإلحاد (الذي يرى أن خالقًا فائقًا للطبيعة غير موجود) إلى الإيمان بصورة ما من صور خالق فائق للطبيعة. وهذا ينقلنا إلى نطاق إما الإيمان بإله (الإيمان بإله واحد أو أكثر منفصلين عن الخلق المادي) أو وحدة الوجود (الاعتقاد بأن الخلق كله إلهي وجزء من إله واحد).

فالسؤال المطروح إذن هو هذا: هل الخلق المادي، الذي نختبره بحواسنا، منفصل عن خالق أو خالقين فائقين للطبيعة (الإيمان بإله)، أم أن الخلق المادي هو ببساطة جزء من خالق فائق للطبيعة (وحدة الوجود)؟

أجد عدة مشكلات لا يمكن تجاوزها في وحدة الوجود. أولًا، هناك مشكلة الشر. إذا كان كل شيء إلهيا وجزءًا من إله واحد، فإن مفهوم الخير والشر لا معنى له. وهذا يخالف خبرتنا كما عبِّر عنها في الحقائق البديهية السابقة.

ثانيًا، هناك مشكلة الشخصيات المتمايزة لجميع الناس على الأرض. يبدو كل فرد على الأرض ذاتًا فريدة موجّهة لنفسها، وغالبًا ما تكون في صراع مع أناسٍ آخرين. وفوق ذلك، تتباين المعتقَدات الدينية لدى مختلف الناس تباينًا كبيرًا. ومن الصعب أن نرى كيف تنسجم هذه الوقائع مع كون كل شيء وكل إنسان إلهيا وجزءًا من إله واحد.

ثالثًا، يُظهر العلم الحديث أن المادة غير العضوية الخالية من الحياة تتبع عادةً قوانين صارمة في الفيزياء والكيمياء. ومن الصعب أن نرى كيف يمكن اعتبار المادة غير العضوية إلهية وجزءًا من إله واحد.

رابعًا، يرى علم الأحياء الحديث أن الحياة والذكاء موجودان في وحداتٍ محددة بوضوح، مثل نباتات منفردة أو حيوانات منفردة. ويبدو هذا مخالفًا لكون الحياة كلها إلهية وجزءًا من إله واحد.

ومن هذا أصل إلى حقيقة بديهية أخرى:

الخلق منفصل بوضوح عن خالقه.

لمزيد من التأمل:

- هل يمكنك أن تفكر في أدلة أخرى تتعلق بما إذا كان الخلق منفصلًا بوضوح عن خالقه أم لا؟

****

الفصل 16
الله أم آلهة؟

خلصت الفصول الأخيرة إلى ما يلي:

- يوجد خلق.
- يوجد عالم فائق للطبيعة.
- يوجد خالق فائق للطبيعة.
- الخالق الفائق للطبيعة متميز عن الخلق.

وهكذا، انتقلنا من نطاق الإلحاد (لا خالق فائق للطبيعة) ووحدة الوجود (الكل هو الله) إلى صورة ما من الإيمان بإله (اعتقاد بواحد أو أكثر من «الآلهة» المتميزين عن الخلق المادي). ولتجنب الالتباس، دعونا نوضح مصطلحي «إله» (بحرف "g" صغير) و«الله» (بحرف "G" كبير):

إله: كائن فائق للطبيعة يمتلك نوعًا ما من القدرة الفائقة للطبيعة.

الله: أعظم جميع الكائنات الفائقة للطبيعة، وخالق كل شيء (بما في ذلك جميع «الآلهة» الأدنى).

لقد وجدنا سابقًا أن وجود العالم الروحي حقيقة بديهية. عادةً ما يقترن قبول وجود عالم روحي بقبول وجود كائنات فائقة للطبيعة في العالم الروحي. تقرّ بهذا جميع الأديان تقريبًا. فعلى سبيل المثال، تؤمن التقاليد المسيحية واليهودية والإسلامية عمومًا بالملائكة والأرواح الشريرة. ومن منظور إنساني طبيعي، يعدّ كلٌّ من هؤلاء «كائنًا خارقًا للطبيعة له نوع من القدرة الخارقة للطبيعة»، وهو ما يتوافق مع تعريف «الإله» الوارد أعلاه. كما تؤمن الهندوسية، وكذلك معظم الديانات الشرقية الأخرى، بوجود آلهة متعددة. وبالمثل، تؤمن الشيطانية والويكا ومختلف الديانات الباطنية الأخرى عمومًا بكائنات متعددة خارقة للطبيعة ذات قدرات خارقة للطبيعة. ومن هذا أستنتج:

توجد كائنات متعددة خارقة للطبيعة ذات قدرات خارقة للطبيعة في المجال الخارق للطبيعة.

ومع أن هذا الاستنتاج قد يكون تقدما جيدا، فما زال يبقى أمامنا سؤال ما إذا كان هناك إله واحد أعظم من جميع الآخرين، وما إذا كان هذا الإله الواحد مصدر جميع الآلهة الأخرى، وفي النهاية خالق كل شيء.

يتبع كثير من الناس ديانات يُظن عادةً أنها تؤمن بآلهة كثيرة. غير أن كثيرًا من هذه الديانات، بما في ذلك فروع كثيرة من الهندوسية، تؤمن أيضا بإله واحد أعظم من الآخرين، وغالبا ما يعد خالق كل شيء.

تأمّل كذلك: في الديانات التي لا تؤمن بإله واحد خلق كل شيء، تُفهم الآلهة المختلفة عادة على أنها مستقلة بعض الشيء بعضها عن بعض، وغالبا ما تكون في صراع فيما بينها، على نحو يشبه إلى حد كبير ما يحدث بين الناس غالبا من صراع. وكما أن لجان الناس كثيرا ما تجد صعوبة في الاتفاق واحراز التقدّم، يبدو أن الحال كذلك مع آلهة هذه الديانات. ويبدو لي أن مثل هذا الوضع غير متوافق مع التعقيد الهائل المنظّم الذي نلاحظه في الكون. ومن الصعب تصور أن الكون كان يمكن أن يصنع على يد آلهة متعددة، لكل منها آراء مختلفة بشأن ما ينبغي أن تكون عليه الأمور.

لقد رأينا سابقًا أن الحياة المعقّدة في كون منظّم تتطلب نوعًا ما من الخالق. وبما أنه يبدو أن آلهة متعددة أدنى منزلة لا تستطيع أن تفسّر وجود مثل هذا الخالق، فيبدو أنه لا بد من وجود إله واحد خلق كل الأشياء (بما في ذلك كل «الآلهة» الأخرى). وهذا يقودنا إلى استنتاج آخر:

يوجد الله الواحد
الذي هو أعظم من كل «الآلهة» الأخرى.

لمزيد من التأمل:

- هل تقبل هذا الاستنتاج القائل بوجود «إله واحد»؟ إن لم تكن تقبله، فبماذا تؤمن في هذا المجال، وما الدليل الذي لديك لتأييد معتقداتك؟

****

الفصل 17
استنتاج بديهي

قبل سنوات كثيرة، درستُ الهندسة الكهربائية في جامعة ولاية أوريغون. وكانت معظم دراساتي الهندسية، إلى حدّ بعيد، قائمة على ما أعدّه «العلوم الصارمة»، مثل الرياضيات والفيزياء. وبالطبع، فإن التفريق بين ما يعدّ «علوماً صارمة» وما يعدّ «علوما لينة» أمر قابل للنقاش. وأنا أعدّ «العلوم اللينة» شاملة لحقول مثل الفلسفة وعلم النفس والدين والعلوم السياسية. بالنسبة إليّ، يتمثّل الفرق بين العلم «الصارم» والعلم «اللين» في الدرجة التي تكون بها المفاهيم الرئيسة قابلة للملاحظة، ودقيقة، وقابلة للإثبات، وقابلة للتكرار.

لا أتذكر أي خلافات جدية بشأن «الحقيقة» فيما يتصل بدروس العلم والرياضيات والهندسة التي تلقيتها. ومع كون العلوم الصارمة هي الأساس، لا يبقى الكثير مما يجادَل فيه؛ فالأمر في معظمه مسألة فهمها وتعلّم كيفية تطبيقها بطرائق عملية. بالطبع، يستطيع الناس أن يتجادلوا حول أفضل طريقة لتنفيذ حلّ ما (مثل نمط الجسر الذي ينبغي بناؤه ليمتدّ فوق نهر)، لكن العلوم الصارمة الكامنة وراء ذلك (الحسابات والمبادئ التي تضمن ألّا ينهار الجسر) تكون عادة راسخة رسوخا قويا. ولو لم يكن الأمر كذلك، لما استطاع الناس تصميم الجسور بيقين معقول بأنها لن تنهار.

ثمة جانب رفيع في العلوم الصارمة صرت أقدّره: فعادةً ما تكون هناك إجابة صحيحة واحدة فقط لمعظم أنواع التحليلات في العلوم الصارمة. أحسب أن ذلك يتصل بكيفية تعريفي للعلم «الصارم» و«المرن». في العلوم الصارمة، يمكن غالبا تناول التحليل الرياضي لمشكلة ما عبر مسارات مختلفة كثيرة، لكن ينبغي أن تكون الإجابة دائما هي نفسها (فغالبا لا تكون هناك إلا إجابة صحيحة واحدة). إذا خرجت الحلول مختلفة عند تناولها من اتجاهات مختلفة، فمن شبه المؤكد أن خطأ قد وقع (وإلا فإننا، بحسب تعريفي، لا نتعامل مع العلوم الصارمة).

وينبغي لهذا النمط نفسه، أي الوصول إلى نتائج متشابهة من اتجاهات مختلفة، أن يقع أيضا في الواقع العملي، وان بدرجة أقل، في العلوم غير الصارمة، مثل الفلسفة والدين. على سبيل المثال، تأمل هذا السؤال الفلسفي:

«لماذا يوجد الكون؟»

لقد توصلت الفصول السابقة إلى الحقائق البديهية الثلاث الآتية من خلال الملاحظة والعقل:

- لكل شيء بداية.
- يوجد خلق.
- يوجد خالق.

يمكننا ببساطة أن نجمع هذه الحقائق ونصل إلى الاستنتاج الآتي بشأن سبب وجود الكون:

في البدء، خلق خالقٌ الخلق.

وبدلًا من ذلك، قد يلتمس شخصٌ ما في نص مقدس جوابًا عن السؤال: «لماذا يوجد الكون؟» تقرأ الآية الأولى في الكتاب المقدس:

في البدء خلق الله السماوات والأرض. —سفر التكوين 1:1

هاتان الإجابتان متطابقتان عمليًا. لقد وصلنا، باستخدام مسارين مختلفين، إلى نتائج متشابهة. كان المسار الأول هو استخدام الملاحظة والعقل. وكان المسار الثاني هو الرجوع إلى نص مقدس طلبًا للجواب. لقد وجدنا، في جوهر الأمر، أن الآية الأولى في الكتاب المقدس صحيحة، استنادًا إلى الحقائق البديهية.

لمزيد من التأمل:

- هل توافق على أن «في البدء خلق الله السماوات والأرض»؟

****

الجزء 2
الإيمان والعلم

يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من الالتباس بشأن العلاقة بين الإيمان والعلم. ويميل هذا الالتباس إلى إعاقة الناس عن اعتناق الحق الروحي البديهي. لذلك، سأحاول في هذا القسم أن أستجلي العلاقة بين «الإيمان» و«العلم».

سنتناول هذا الموضوع وفق المخطط الآتي:

- عن الإيمان
- عن العلم
- الإيمان بالعلم؟
- الخداع
- الإيمان والخداع
- العلم والخداع
- الإيمان والعلم في نزاع

****

الفصل 18
عن الإيمان

في الفصل 11 قُدِّم تعريف بسيط لـ«الإيمان»:

الإيمان: الاعتقاد بشيء لم يُلاحَظ مباشرةً.

وبالطبع، شأنها شأن كلمات كثيرة جدًا، ثمة استعمالات أخرى كثيرة ممكنة لكلمة «الإيمان» لا يتناولها هذا التعريف تناولًا وافيًا. لكن، في سياق المناقشة في هذا الكتاب، فإن ذلك التعريف هو ما أعنيه حين أستخدم كلمة «الإيمان».

ثم إنٍ عبارة «أن يكون لدى المرء إيمان» تعني أن يؤمن بشيء لم يُلاحَظ مباشرة.

وبحسب هذا التعريف لـ«الإيمان»، يمكن للمرء أن يكون لديه إيمان بأمور في العالم الطبيعي وفي العالم الروحي على السواء (كما نوقش بعض الشيء في الفصل 11 «إيمان أو لا إيمان»). والنقطة الأساسية بشأن الإيمان هي أنه ينطوي على الاعتقاد بأشياء لم تلاحظ مباشرة، بصرف النظر عما إذا كانت تلك الأشياء طبيعية أم خارقة للطبيعة.

وبهذا التعريف، يكون الإيمان حاضرًا عندما أصدّق شيئًا يدّعي آخرون أنهم لاحظوه، لكنني أنا نفسي لم ألاحظه مباشرة. إذا لم تكن لديّ معرفة أو خبرة مباشرة بشأن شيء معين، فإن الإيمان يكون حاضرًا إذا آمنتُ به. وأظن أن الأمر نفسه ينطبق عليك. على سبيل المثال: هل تؤمن بأن ماءً ينقل عبر منفذ إخباري معين صحيح؟ إن كان الأمر كذلك، فلديك إذن قدر ما من الإيمان بصدق ذلك المنفذ الإخباري وبالأخبار التي يوردها. ففي نهاية المطاف، بما أنك لا تعاين معظم الأخبار مباشرة، فمن الممكن أن يكون بعض ما تسمعه من أخبار قد اختلق أو حُرِّف ليلائم مقاصد من يعرضونه. ويتطلب تصديق المعلوماتٍ المنقولة عن الآخرين قدراً من الإيمان. وبالطبع، فإن مجرد الاعتقاد بأن شيئاً ما حق لا يجعله حقاً. قد ننخدع بشأن أمور نضع فيها إيماننا (وسيرد المزيد عن هذا في الفصول 21 و22 و23).

لاحظ أن الحدث، بالنسبة إلى شخص يختبره مباشرةً، لا يكون مسألة إيمان عند ذلك الشخص، لأنه عِاين الحدث مباشرة. أما بالنسبة إلى الذين لا

يسمعون عن الحدث إلا نقلا عن غيرهم، فإن تصديق وقوع مثل هذا الحدث يكون مسألة إيمان. وتعتمد قوة إيمان المرء بمثل هذا الحدث على نوع الأدلة المتوفرة بشأنه ومقدارها. كلما كانت الأدلة أقوى، كان إيمان المرء به أقوى في العادة. وكلما ازداد إيمان المرء بمصدر معين من مصادر المعلومات، كان أكثر استعداداً لقبول ما يقال على أنه حق.

ثمة سوء فهم شائع ينبغي أن نكون واعين به. فكثيراً ما يكون لدينا من الإيمان ببعض مصادر المعلومات ما يجعلنا لا نرى أن الإيمان داخل في تصديقنا لها أصلا. حقا، يبدو أن معظم المدارس والمعلمين يعملون على افتراض أن الطلاب ينبغي لهم ببساطة أن يقبلوا كل ما يعلَّم لهم دون سؤال. وفي كثير من الأحيان يقبل الطلاب بالفعل ما يقرره المعلمون بوصفه حقيقة موثوقة، بإيمان كامل بكل ما يعلمه المعلمون. وقد كنت أنا نفسي مذنبا بهذا، أكثر مما أود الاعتراف به. وأقترح أن نكون جميعا أكثر حذرا بشأن الأمور التي نقبلها بالإيمان. يحسن بنا ألا نتعجل في قبول المعلومات المنقولة عن غيرنا بوصفها الحق النهائي.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الأشياء التي تؤمن بها ولم تلاحظها مباشرة؟
- ما بعض الأشياء التي تعلم أنها حق بفضل ملاحظتك المباشرة؟

****

الفصل 19
عن العلم

والآن لننظر في تعريف بسيط لـ«العلم»:

العلم: معرفة بالعالم الطبيعي والكون مستمدة من التجارب والملاحظة والعقل.

ومرةً أخرى، كما هي الحال مع كلمة «الإيمان»، توجد استعمالات كثيرة أخرى ممكنة لكلمة «العلم» لا يتناولها هذا التعريف على نحو واف. ولكن، في سياق النقاش في هذا الكتاب، فإن ذلك التعريف هو ما أعنيه عندما أستخدم كلمة «العلم».

وبحسب هذا التعريف، يتناول «العلم» «العالم الطبيعي والكون» لا العالم الروحي. وبقدر ما يكون شيءٌ ما جزءًا من «العالم الروحي»، يكون بالقدر نفسه خارج نطاق العلم، الذي لا يتناول إلا «العالم الطبيعي والكون».

لاحظ أن «العلم» يتناول المعرفة المستمدة من «التجارب، والملاحظة، والعقل». ويمكن للمرء أن يوضح ذلك بإضافة أن العلم يقوم على التجارب والملاحظات التي يمكن تكرارها بنتائج متسقة. فإذا تعذّر تكرار النتائج التجريبية والملاحظات بصورة متسقة، فإن النتائج لا تقبل عادة بوصفها علما مشروعا.

ومع ذلك، يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من «المعرفة» التي يقبلها كثير من الناس بوصفها معرفة «علمية»، لكنها ليست مستمدة من ملاحظات أو تجارب قابلة للتكرار. على سبيل المثال، يدّعي بعض الناس أن الحياة على الأرض بدأت بما يسمى «التولد التلقائي». وهذا هو التصور القائل إن الخلية الحية الأولى (أو الخلايا الأولى) حدثت عشوائيا عبر الزمن والصدفة، من دونٍ أي تدخل خارق للطبيعة. هل مثل هذا الاعتقاد مسألة علم أم إيمان؟ استنادا إلى تعريفي الإيمان والعلم اللذين نعتمدهما في هذا الكتاب، يبدو لي أن مثل هذا الاعتقاد أقرب إلى مجال الإيمان منه إلى مجال العلم. لم أسمع قط عن أحد لاحظ حدوث شيء كهذا، ولا حتى بصورة غير مباشرة. ولا أعلم بوجود أي تجربة استطاعت أن تكرر مثل هذا الحدث. لذلك، يبدو لي أن الإيمان بـ«التولد التلقائي» مسألة إيمان، لا مسألة علم.

ولنأخذ مثالا آخر: تأمل أصل الجنس البشري. يظن بعض الناس أن «العلم» يبيّن أننا تطورنا من القردة العليا والحيوانات الأدنى عبر ملايين السنين. هل سبق لأحد أن لاحظ مباشرة حدوث شيء من هذا القبيل؟ ليس على حد علمي. هل توجد أي تجارب قابلة للتكرار تدعم هذا الاعتقاد؟ ومرة أخرى، لستُ على علم بأي تجارب من هذا القبيل. نعم، أعلم أن بعض العلماء يزعمون أن بعض الحفريات تدعم مثل هذه النظريات. أما أنا فلم أر قط أي حفريات، بل ولا حتى أي صور لحفريات، تقود بوضوح إلى مثل هذا الاستنتاج. لو كنت أؤمن بهذا النوع من التطور الكبير، لكان الأمر مسألة إيمان. سيكون ذلك «إيماناً بشيء لم يُلاحظ مباشرة».

لاحظ أنني لا أدّعي هنا أن مثل هذه المعتقدات غير صحيحة (مع أنني قد أميل بالفعل إلى ذلك المنظور)؛ إنما أشير هنا إلى أن مثل هذه المعتقدات، عند معظم الناس، هي من مسائل الإيمان أكثر منها من مسائل العلم. قد يكون لدى بعض الناس معرفة مباشرة بمثل هذه الأمور، وبالنسبة إليهم يمكن القول إن معرفتهم الخاصة قائمة على العلم، لا على الإيمان. أما معظم الناس الذين يؤمنون بمثل هذه الأمور، فيبدو لي أن معتقداتهم هي من مسائل الإيمان أكثر منها من مسائل العلم.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض المعتقدات العلمية التي تعرف أنها صحيحة بناءً على تجاربك أنت وملاحظتك والعقل؟
- ما بعض المعتقدات «العلمية» التي تقبلها بالإيمان؟
- هل سبق أن رأيت أي أحافير تدعم بوضوح الاعتقاد بأن البشر منحدرون من أشكال حياة أخرى؟

****

الفصل 20
الإيمان بالعلم؟

في الفصل السابق، زعمتُ أن كثيرًا من المعتقدات التي يحملها الناس بشأن أمور مرتبطة بالعلم هي مسائل إيمان أكثر منها مسائل علم. سأحاول أن أوضح ذلك بعض الشيء.

تبدو مشكلة الخلط بين مسائل «الإيمان» و«العلم» شائعة إلى حدّ ما، بين من يظنون أنهم غير متدينين وكذلك بين من يعدّون أنفسهم متدينين. ترجع هذه المشكلة جزئيًا إلى التداخل الذي يميل إلى الوجود بين الإيمان والعلم. يمتلك معظم العلماء معرفة علمية مباشرة من خلال «التجارب، والملاحظة، والعقل» في مجال خبرتهم. ومع ذلك، فإن معظم الناس، بمن فيهم معظم العلماء، لا يمتلكون معرفة علمية مباشرة من خلال «التجارب، والملاحظة، والعقل» في كثير من مجالات المعرفة العلمية. فبالنسبة إليهم، يقوم قبولهم لمثل هذه المعرفة العلمية جزئيًا على الإيمان، الإيمان بالآخرين الذين يدّعون أنهم توصلوا إلى معرفة علمية من خلال «التجارب، والملاحظة، والعقل».

لذلك، فإن الخط الفاصل بين العلم والإيمان غير واضح تمامًا، وسيختلف من شخص إلى آخر. على سبيل المثال، تأمل معادلة أينشتاين التي تربط بين الطاقة (e)، والكتلة (m)، وسرعة الضوء (c):

$$e = mc^2$$

يدّعي بعض الناس أنهم يفهمون فعلًا اشتقاق تلك المعادلة والأدلة المؤيدة لها. وأنا لست واحدا من هؤلاء الناس. لقد درست بعض الفيزياء في الكلية، لكنني لم أتخصص فيها. ومع ذلك، فإنني أؤمن بأن $e=mc^2$ صالحة وصحيحة، ولكن ليس لأنني أفهم الفيزياء الكامنة وراءها. فلم أتحقق من صحة هذه المعادلة بمراجعة النتائج التجريبية، أو بملاحظتي الخاصة أو باستدلالي الخاص. أؤمن بأنها صحيحة بـ **الإيمان**. لدي إيمان بأن أينشتاين والذين راجعوا عمله وأقروه كانوا يعرفون ما يفعلون. لدي **الإيمان** أن أينشتاين كان على حق استنادا إلى القبول الواسع لـ $e=mc^2$ من قِبل المجتمع العلمي.

ومن ناحية أخرى، فقد تخصصت في الهندسة الكهربائية. تعرف إحدى أكثر معادلات الكهرباء أساسيةً باسم قانون أوم. وهي تربط الجهد (E) بالتيار (I) والمقاومة (R):

$$E=IxR$$

أعلم أن هذه العلاقة صحيحة استنادًا إلى تجاربي الخاصة، وملاحظاتي الخاصة، والعقل. وبعبارة أخرى: أعلم أن قانون أوم صحيح استنادًا إلى فهمي الشخصي للعلم. لا يدخل الإيمان في الأمر بالنسبة إليّ عندما أؤكد أن قانون أوم صحيح.

والآن، فإن المقصود من الحديث عن الإيمان والعلم بهذه الطريقة هو أن يساعد على فهمنا للعلاقة بين الإيمان والعلم. يدّعي بعض الناس أنهم لا يعتمدون إلا على العلم، ويدّعون أنهم لا يريدون أي صلة بأمور الإيمان، غير مدركينٍ مقدار ما ينطوي عليه اعتمادهم على العلم في الواقع من **إيمان بالعلم** بدلًا من ملاحظتهم المباشرة والعقل والفهم لديهم.

دعنيٍ أحاول أن ألخّص هذه الأفكار. بقدر ما يكون الشيء مُشاهَدًا مباشرة أو مفهومًا لدى الفرد، فهو مسألة من مسائل العلم بالنسبة إلى ذلك الشخص، وليس الإيمان. وبقدر ما يكون الشيء موضع اعتقاد، ولكنه غير مشاهَد أو مفهوم مباشرة لدى الفرد، فإنه يكون مسألة من مسائل الإيمان إلى حدّ ما، وليس مجرد علم. أجد أن كثيرًا من الناس يبدو أن لديهم إيمانًا بالعلم أكثر مما لديهم من معرفة بالعلم.

لمزيد من التأمل:

- كم من قبولك للمعرفة العلمية يقوم على الإيمان أكثر مما يقوم على معرفتك أنت «المستمدة من التجارب والملاحظة والعقل»؟

****

الفصل 21
الخداع

في الفصل 2 نظرنا في مفهوم «صواب أو خطأ». ورأينا أن بعض الأشياء صواب وبعض الأشياء خطأ. ويترتب على ذلك أنه يمكن لكل واحد منا أن يعتقد أن شيئًا ما صواب وهو في الحقيقة خطأ، أو أن يعتقد أن شيئًا ما خطأ وهو في الحقيقة صواب. من الشائع أن يقال إن الشخص الذي لديه مثل هذه المعتقدات الخاطئة هو «مخدوع» بشأن تلك المعتقدات. وبناءً على هذا، أقترح تعريفًا بسيطًا لكلمة «مخدوع»:

مخدوع: حالةُ الاعتقاد بأن شيئًا ما صحيحٌ وهو في الواقع باطل، أو بأن شيئًا ما باطل وهو في الواقع صحيح.

ينبغي أن يكون واضحًا أننا جميعًا قد خُدعنا، في بعض الأحيان، بشأن بعض الأمور. لعلنا فضّلنا أن نقول إننا كنا «مخطئين»، غير أن ذلك يرجّح أنه يندرج تحت التعريف أعلاه لكوننا «مخدوعين». وبالنسبة إلى معظمنا، كلما تقدّم بنا العمر، ازداد وعينا بالأمور التي خدعنا بشأنها. أما الذين يظنون أنهم لم يُخدعوا قط في أي شيء، فلعلهم أشدّ الناس انخداعًا!

ينبغي أن نلاحظ أن كون المرء مخدوعًا يختلف عن كونه محايدًا أو جاهلًا بشأن شيء ما. إذا لم يكن لدي رأي أو اعتقاد مستقر بشأن شيء ما، فلا يمكن أن أكون مخدوعًا بشأنه. فأنا إما محايد فحسب تجاهه، أو ربما أكون جاهلًا به فحسب (أو شيئًا من الأمرين معًا). لا يمكن أن أُخدع إلا بشأن أمور أدّعي أنني أعرف حقيقتها. إذا لم أدّعِ أنني أعرف الحقيقة بشأن شيءٍ ما، علانيةً أو سرًّا، فلا يمكن أن أُخدع بشأنه. وأظن أن الأمر نفسه ينطبق عليك.

والآن يبدو واضحًا أن الانخداع بشأن شيءٍ ما ليس أمرًا حسنًا في العموم. وباستثناءات قليلة، لا يخطر ببالي أيٌّ منها، فإن الانخداع بشأن أي شيء هو في العموم أمرٌ سيئ. فالانخداع يؤدي عمومًا إلى فعل أمور ضارّة لا نافعة. لذلك آمل أنك قد جعلتِ بالفعل من هدفك ألا تنخدع. وبافتراض أن الأمر كذلك، فإن هذا يثير مسألة مهمة:

كيف يمكننا آن نتجنب الانخداع؟

أقترح السبل البسيطة الآتية لتجنب الخداع:

أولًا: كن واعيًا ببساطة لإمكان أن تُخدَع. ينبغي لهذا أن يساعدنا على التريثٍ أكثر قبل الوصول إلى أستنتاجات بشأن مسألةٍ ما. سنكون أقل عرضة للانخداع إذا كنا واعين بهذا الاحتمال.

ثانيًا: اعتنق موقفًا محايدًا تجاه الأمور التي لا تملك بمعرفةً كافيةً عنها لتتيقن منها. أؤمن بقوة بأن اتخاذ موقف محايد من أمرٍ ما خير من أن ينخدع المرء بشأنه. وكثيرا ما لا تكون هناك حاجة إلى تكوين استنتاجات عن الأشياء بسرعة. التزم موقفًا محايدًا إلى أن تتوافر لديك معلومات كافية لتكوين اعتقاد صحيح.

ثالثًا: اعترف بجهلك، عندما يكون ذلك مناسبًا. لقدٍ قال قائل: «الجهل نعمة». وأنا في العموم لا أوافق على ذلك. ومع ذلك، فكثيرا ما يكون الاعتراف بجهلنا بأمرٍ ما أفضل من التظاهر بأن لدينا كل الإجابات الصحيحة ثم ينتهي بنا الأمر إلى الخطأ. كن مستعدا للاعتراف بجهلك بأمرٍ ما بدلًا من المخاطرة بأن تنخدع بشأنه.

رابعًا: كن طالبًا للحق. اسعَ بنشاط إلى الحق، واجعل حياتك قائمة على الأمور التي تعلم أنها حق. تجنب الاتكال على أمور قد لا تكون حقا.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض الأمور التي انخدعت بها؟
- هل يمكن أن تكون في الوقت الحاضر منخدعًا بشأن أمرٍ ما؟

****

الفصل 22
الإيمان والخداع

تذكّر التعريف البسيط لـ«الإيمان» الذي نستخدمه:

الإيمان: الاعتقاد بشيء لم يُلاحَظ مباشرةً.

بما أن «الإيمان» يتناول أمورًا لم تُلاحَظ مباشرة، فإن ذلك يترتب عليه أنه من السهل نسبيًا أن يخدع المرء في المسائل التي تنطوي على الإيمان. قليلون هم الناس الذين يخدعون بشأن أشياء يشاهدونها مباشرة. لا، بل الأرجح أننا نُخدع بشأن أشياء لا نشاهدها مباشرة، بما في ذلك أشياء لا نشاهدها إلا جزئيًا أو نشاهدها على نحو غير مباشر، أو أشياء لا نسمع عنها إلا من خلال الآخرين.

على سبيل المثال، ربما تكون قد سمعت بالدراما الإذاعية التي بُثّت عام 1938 عن «حرب العوالم». يشير التاريخ إلى أنها كانت من إخراج أورسن ويلز وروايته، وأنها أذيعت على شبكة كولومبيا للبث في 30 أكتوبر 1938 في أنحاء الولايات المتحدة. (لم أكن حيًا آنذاك، ولم أسمعها أو أشاهدها بنفسي؛ إنما أبني هذا على روايات تاريخية، لدي قدر من الإيمان بدقتها.) كانت دراما إذاعية عن غزو من كائنات فضائية، مستندة إلى رواية بقلم هـ. ج. ويلز. وللأسف، ظن كثيرون ممن تابعوا البث بعد مقدمة الدراما أن التقارير الإخبارية عن غزو فضائي كانت صحيحة، وبدؤوا يهلعون ويعانون كربًا نفسيًا شديدًا. تفيد التقارير بأن قلة من الناس حاولوا الانتحار. لِمَ هذا الكرب النفسي؟ لِمَ محاولات الانتحار؟ لأن هؤلاء الناس كان لديهم إيمان راسخ بدقة التقارير الإخبارية الإذاعية. لقد اعتقدوا أن ما كانوا يسمعونه كان حقًا، مع أنهم لم يشاهدوا مباشرةً أي دليل على الغزو المبلَّغ عنه. لقد خدعوا؛ إذ آمنوا بأن شيئًا ما حق، بينما كان في الواقع باطلًا.

تأمل مثالًا آخر. تفيد التقارير بأن شركة Bernard L. Madoff Investment Securities LLC قد تأسست عام ١٩٦٠ على يد برنارد إل. مادوف نفسه. وعلى مدى نحو ٤٨ عامًا، كانت هذه الشركة الاستثمارية «تستثمر» أموال الآخرين نيابة عنهم، وكانت تظهر عمومًا عوائد قوية ومتسقة جدًا على تلك الاستثمارات. وقد اكتسب السيد مادوف قدرًا كبيرًا من الثروة والاحترام

استنادا إلى النجاح المتسق لشركته. كان لدى كثيرين إيمان راسخ بالشركة، وأثبتوا إيمانهم في نهاية المطاف بأن عهدوا بما يزيد على 50,000,000,000$ إلى شركة السيد مادوف الاستثمارية (أي ٥٠ بليون دولار، أو ٥٠،٠٠٠ مليون دولار). ولعلكم سمعتم: في عام ٢٠٠٨ تبيّن أن هذه الشركة الاستثمارية كانت تدير مخطط بونزي! فلم تكن الأموال الجديدة الواردة تستثمر بطريقة سليمة. بل كانت تستخدم لدفع مستحقات المستثمرين السابقين، ولتوفير نمط حياة باذخ للسيد مادوف. ويبدو أن حتى بعض أفراد أسرته الذين عملوا في هذا النشاط كانوا إلى حدّ كبير غير مدركين للخداع. كان كثيرون يضعون الإيمان في السيد مادوف وشركته، لكنهم خدعوا. لقد آمنوا بشيء لم يعاينوه مباشرة، ولم يكتشفوا إلا لاحقًا أنهم قد خدعوا.

تأمّلوا مثالًا ذا طابع ديني أكثر بعض الشيء. يبدو أن لدى كثير من الوعاظ التلفزيونيين الناجحين (وبعض الكنائس) رسالة تسير على نحوٍ كهذا:

> «إن الله يريد أن يباركم ماليًا! نحن الذين نخدم الله نحتاج إلى مزيد من الموارد لكي نخدم الله على نحو أفضل. استثمروا في خدمتنا، وسيباركم الله ماليًا! لا تعوقوا بركة الله بعد الآن؛ أعطوا اليوم!»

هل مثل هذه الادعاءات صحيحة؟ إن تصديق مثل هذه الادعاءات ينطوي عادة على الإيمان، لكن الإيمان بشيء ما لا يجعله صحيحًا. وبالمثل، فإن عدم الإيمان بشيء ما لا يجعله باطلًا.

لمزيد من التأمل:

- هل لديك في الوقت الحاضر إيمان بشيء قد يتبين في النهاية أنه خداع؟

****

الفصل 23
العلم والخداع

تذكّر التعريف البسيط لـ«العلم» الذي نستخدمه:

العلم: معرفة بالعالم الطبيعي والكون مستمدة من التجارب والملاحظة والعقل.

وبما أن «العلم» يتناول المعرفة «المستمدة من التجارب والملاحظة والعقل»، فقد يظن المرء أن من الصعب نسبياً أن يُخدع في مسائل العلم. غير أننا رأينا سابقاً في الفصلين 19 و20 أن كثيراً من الناس لديهم إيمان بالعلم أكثر مما لديهم من معرفة علمية فعلية. وبما أن كثيراً مما نؤمن به فيما يتعلق بالعلم يقوم في الحقيقة على الإيمان بما يقوله العلماء لا على ملاحظتنا وفهمنا المباشرين، فإن احتمال الخداع كبير إلى حد ما، في رأيي.

فعلى سبيل المثال، هل سمعتَ عن شركة التكنولوجيا الناشئة التي كان منتجها الرئيسي قائماً على إنجاز علمي؟ صب المستثمرون الأموال في الشركة، معتقدين أن العلم الذي يقوم عليه منتجهم المخطط له كان متيناً. وبدلاً من ذلك، لم تكن راسخة إلا خطة عمل الشركة للحصول على المال من المستثمرين! كان المستثمرون يعتقدون أن العلم صحيح، لكنه على ما يبدو لم يكن كذلك. وزعم وقوع احتيال، وتلت ذلك دعاوى قضائية. إنني أتعمد عدم ذكر الأسماء هنا؛ فالحالة الموصوفة ليست مقتصرة على شركة واحدة.

تأمل مثالاً آخر. قبل سنوات كثيرة كان من المعتقدات العلمية الشائعة، استناداً إلى تجارب بسيطة وملاحظة والعقل، أن كثيراً من أشكال الحياة، ولا سيما الحشرات الصغيرة، تنشأ تلقائياً في المادة العضوية، كما في الطعام المتعفن أو البراز. كان ذلك نحو عام 1864 حين بيّن لويس باستور بوضوح أن التولد التلقائي للحياة لا يحدث. فقد بيّن أن جميع أشكال الحياة تأتي من أشكال حياة مماثلة عبر طرائق التكاثر الطبيعية. ومع وجود العلم الأكثر تطوراً الآن، صار مقبولاً على نطاق واسع أن أشكال الحياة كما نعرفها لا تحدث هكذا تلقائياً. وهذا مثال واضح على اعتقاد «علمي» سابق تبيّن بطلانه استناداً إلى علم أفضل. قد تكون المظاهر خادعة!

تأمل علم الطب. كم دواءً سمعت عنه كان يروج له ذات يوم على أنه علاج جيد لمشكلة صحية معيّنة، ثم تبيّن لاحقًا أن له آثارًا ضارة تفوق فوائده؟ تناول كثير من الناس تلك الأدوية معتقدين أن العلم الطبي قد أثبت أنها آمنة. كانوا يعتقدون أن الأدوية آمنة، بينما هي في الواقع لم تكن آمنة. لقد اعتقدوا أن شيئًا ما حق، مع أنه في الواقع كان باطلًا. لقد خدعوا.

لاحظ أن تعريف «الانخداع» الذي نستخدمه لا ينظر في ما إذا كان هناك مخادِع متعمّد ضالع في الأمر أم لا. فالانخداع هو ببساطة «حالة الاعتقاد بأن شيئًا ما حق وهو في الواقع باطل، أو الاعتقاد بأن شيئًا ما باطل وهو في الواقع حق». في المثالين الأخيرين، لا يبدو أن أحدًا كان يخدع أحدًا آخر عمدًا. غير أنه في المثال الأول (الشركة الناشئة) يبدو أن هناك احتمالًا أكبر لوجود خداع متعمّد من قِبل شخص ما. إذن، يمكن أن ننخدع بشأن أمور حتى في غياب الخداع المتعمّد.

تأمل خيطًا مشتركًا بين كل مثال من الأمثلة السابقة. في كل حالة، آمن الناس بشيء لم تكن لديهم عنه في الواقع إلا معرفة مباشرة قليلة أو معدومة. كان إيمانهم إما بفهمهم المحدود، أو بالمعرفة العلمية المحدودة لدى الآخرين. لذلك، نرى أننا يمكن أن ننخدع بشأن المعرفة «العلمية» عندما تكون تلك المعرفة إما غير مكتملة أو مقبولة ببساطة بالإيمان.

لمزيد من التأمل:

- هل سبق أن خُدعت بشأن أمر كنت تعتقد أنه قائم على علم سليم؟

****

الفصل 24
الإيمان والعلم في نزاع

فلنراجع بإيجاز، مرة أخرى، التعريفات البسيطة لـ«الإيمان» و«العلم» التي كنا نستخدمها منذ الفصلين 18 و19:

الإيمان: الاعتقاد بشيء لم يُلاحَظ مباشرةً.

العلم: معرفة بالعالم الطبيعي والكون مستمدة من التجارب والملاحظة والعقل.

بما أن الإيمان ينطوي عمومًا على الاعتقاد بأمور لا تُلاحَظ مباشرة، وأن العلم ينطوي عموما على معرفة تتعلق بأمور قابلة للملاحظة، فلا يلزم أن يكون بينهما تعارض. إذن، لماذا يبدو غالبا أن هناك تعارضا بين الإيمان والعلم؟

ينبغي أن نفهم أن التعارضات بين الإيمان والعلم يمكن أن تحدث بطريقتين مختلفتين اختلافًا جوهريا:

- صراعات **بين أشخاص مختلفين** (أو جماعات مختلفة من الناس)، تنشأ بسبب الاختلافات في معتقدات الإيمان والمعرفة العلمية لدى هؤلاء الأشخاص المختلفين.
- صراعات **داخل الفرد** بشأن معتقداته الإيمانية ومعرفته العلمية.

إذا كان لنا أي أمل في حلّ الصراعات بين الإيمان والعلم بين مختلف الناس، فينبغي أولًا أن نكون قادرين على فهم مثل هذه الصراعات وحلّها داخل أنفسنا. لذا، دعونا نركّز على الصراعات على المستوى الشخصي الفردي.

يظن كثير من الناس ببساطة أن الصراعات بين الإيمان والعلم لا يمكن حلّها، ولذلك لا يحاولون حتى التوفيق بينهما، ولا حتى ضمن فهمهم الخاص. ومع ذلك، فإنني أؤمن بأن «قانون عدم التناقض» صحيح. هذا القانون، الذي نشأ منذ العصور القديمة عبر عدة تقاليد فلسفية، ينص في الأساس على ما يلي:

- إذا كانت عبارتان (أو فكرتان أو معتقدان) تتناقضان إحداهما مع الأخرى، فلا يمكن أن تكون كلتاهما (أو كلتا الفكرتين أو كلا المعتقدين) صحيحة في

الوقت نفسه وبالمعنى نفسه.
أؤمن بأن قانون عدم التناقض هذا صحيح في جميع مسائل العلم (الأشياء التي نستطيع ملاحظتها بانتظام) والإيمان (الأشياء التي لا تلاحظ مباشرة). أؤمن بأن العلم الحق لا يناقض الإيمان فيما يتعلق بالأشياء الحقة. لذلك، استنادا إلى قانون عدم التناقض، أدّعي أن ما يلي حق:

- إذا كان إيماننا لا ينصبّ إلا على الأشياء التي هي حقًا حقّة (مع أننا لا نستطيع إثبات حقيقتها بطريقة علمية)، وإذا كانت معرفتنا العلمية لا تقوم إلا على العلم الذي هو حقا صحيح (غير متأثر بمختلف الخداعات المرتبطة بالعلم)، فلن يكون هناك تناقض بين مسائل الإيمان ومسائل العلم.

إن التناقضات في معتقداتنا تشير لنا إلى أننا نؤمن بشيء باطل. وعند تطبيق ذلك على حياتنا، يكون هذا وسيلة تساعدنا على تحديد المعتقدات الباطلة والتحرر منها. إذا كان هناك تناقض في معتقداتنا، فينبغي لنا أن نعدّل معتقداتنا الإيمانية أو معرفتنا العلمية لحل ذلك التناقض.

والآن فلننظر بإيجاز إلى صراعات الإيمان والعلم بين أشخاص مختلفين أو جماعات مختلفة من الناس. لا ينبغي أن يكون عسيرا أن نرى أن كثيرا من هذه الصراعات ينشأ من إيمان أحد الطرفين أو كليهما بأمور غير صحيحة، سواء أكانت أمورا «علمية» أم مسائل من الإيمان. وبما أن معظم الناس يتباطؤون في قبول التغييرات في معتقداتهم، فإن حلّ الصراعات يكون عادة عملية بطيئة وصعبة.

لمزيد من التأمل:

- هل تؤمن بأن قانون عدم التناقض صحيح؟ لماذا، أو لم لا؟
- هل توجد بعض التناقضات بين معرفتك العلمية ومعتقداتك الإيمانية؟ إن كان الأمر كذلك، فما التغييرات التي قد تطرأ على معرفتك أو معتقداتك فتزيل تلك التناقضات؟

****

الجزء 3
الله معلنًا

هل يمكن أن نتعلم شيئًا عن فنان من فنه؟ هل يمكن أن نتعلم شيئًا عن مهندس معماري من المباني التي يصممها؟ بالطبع. إن الأشياء التي نبدعها هي انعكاس لما نحن عليه.

انطلاقًا من الخلاصة في الجزء 1، وهي أن هناك إلهًا واحِدًا خلق كل شيء، يمكننا الآن أن نمضي أبعد: يمكننا أن ننظر إلى ما خلق لنتعلم عن الله. وسنتناول ذلك من خلال النظر في كيفية إعلان الله عن ذاته في عدة مجالات:

- الله متجلّيًا في الطبيعة
- الله متجلّيًا في الذات
- الله متجلّيًا في الآخرين
- الله متجلّيًا في العلاقات
- الله متجلّيًا من خلال الآخرين
- الله متجلّيًا من خلال نص مقدس
- الله متجلّيًا من خلال يسوع؟

****

الفصل 25
الله متجليًا في الطبيعة

غروب الشمس الجميل، والأمواج المتلاطمة في المحيط، ودورات الحياة والموت، والزلازل، والعواصف، والمرض؛ ماذا يمكننا أن نتعلّم عن الله من مثل هذه الأمور؟

أولًا، تأمّل عظمة الله. إن اتساع الكون يكشف عن إله لا نستطيع إدراك قدرته. إن تعقيد الحياة، والطبيعة عموما، يكشف عن إله يفوق فهمه وقدرته الخلّاقة فهمنا وقدرتنا بكثير. والحق أن بعض الناس يرفضون الإيمان بالله لمجرد أنهم لا يستطيعون إدراك إله يمتلك قدرة ومقدرة خلّاقة بهذا القدر الذي لا يسبر غوره. لعلّه يكون أحكم أن نعترف بمحدوديتنا في هذا المجال، بدلًا من أن نحاول حصر الله في شيء نستطيع إدراكه إدراكا كاملا.

على امتداد التاريخ، كافح الناس لفهم مدى عظمة الله. وكان الفلكي الإيطالي جوردانو برونو من أوائل من طرحوا فكرة إله ذي قدرة لا نهائية، بناءً على فهمه لكون لا نهائي. وللأسف، لم يكن إلا قليلون من أهل زمانه قادرين على إدراك سعة الكون كما يفهمها العلم اليوم، وكان معظم القادة الدينيين في زمن السيد برونو يصرون على نموذج للكون مركزه الأرض. وكانت للسيد برونو معتقدات أخرى كثيرة تخالف القادة الدينيين في عصره. وفي نهاية المطاف، عدّ تفكيره غير الموافق للمألوف متعارضا مع المعتقدات التقليدية إلى حدّ كبير، ويشير التاريخ إلى أن السيد برونو أعدم في روما في 17 فبراير سنة 1600م، بعد محاكمة طويلة بشأن معتقداته.

إن فهم جوردانو برونو لسعة الكون مقبول الآن على نطاق واسع، نظرًا إلى التقدم الهائل في المعرفة العلمية منذ وفاته. وأؤمن أن السيد برونو كان مصيبا أيضا بشأن عظمة الله. وهذا يقودنا إلى حقيقة مهمة عن الله:

الله أعظم مما نستطيع إدراكه.

ثانيًا، تأمّل التباينات الحادة الظاهرة في الطبيعة. يبدو أن كثيرًا من الجمال والفرح يقابله كثير من القبح والمعاناة. ولعلّ تلك هي الفكرة: فكثير من الطبيعة يقوم على التباينات. فلا ندرك قيمة الجمال إلا حين يقارن بشيء قبيح. ولا تقدر

الصحة الجيدة إلا حين تقابل بسوء الصحة. ولا تثمن السكينة إلا بقدر ما تقابل بالصراع. ولا تقدّر النظافة إلا حين تقابل بالقذارة. لذلك أستنتج من هذه التباينات الكثيرة في الطبيعة أن إقامة الفروق جزءٌ من ذات الله. الفروق بين الجمال والقبح؛ وبين الخير والشر؛ وبين الصحة والمرض؛ وبين القوة والضعف؛ إن إقامة الفروق بين مثل هذه الأمور تبدو جزءًا من صفات الله.

قد يرى بعضهم أن الله غير مكترث بمثل هذه الأمور، ما دام طرفا هذه التباينات كلاهما حاضرين في الطبيعة. وعلى العكس، أجد أن وجود مثل هذه التباينات يدل على أن الله يهتم بها. وكما أننا نحن البشر نسعى بطبيعتنا إلى الأشياء «الخيرة» ونرفض الأشياء «السيئة»، أرى أن من الواضح أن الله، كذلك، يفضّل الأشياء «الخيرة» على الأشياء «السيئة». لنلخّص هذه الفكرة على هذا النحو:

إن الله يميّز بين ما هو صالح وما هو رديء.

وهذا يثير مسألة مهمة: يبدو لي أنه سيكون من الحكمة لنا أن نقدّر ما يقدّره الله، وأن نرفض ما يرفضه الله.

لمزيد من التأمل:

- هل يمكنك أن تفكر في جوانب أخرى من الطبيعة تكشف شيئًا عن الله؟

****

الفصل 26
الله متجلّيًا في الذات

يمكن القول إننا نحن البشر أكثر الكائنات تعقيدًا وتطورًا في خلق الله المادي، على الأقل مما ندركه إدراكًا مباشرًا. وبناءً على ذلك، يبدو مرجحًا أن جوانب كثيرة من الله تنعكس في الكيفية التي صنع بها كل واحد منا. فلنتأمل بعض الطرق التي يبدو أن شخصية الله تنعكس فيها في الكيفية التي صنعنا بها.

هل سبق أن أدهشك جمال عمل فني، أو غروب شمس بديع، أو شلال رائع؟ هل سبق أن انشغلت بشأن شيء صنعته، وما إذا كان الآخرون سيقدّرونه أم لا؟ من أين يأتي تقديرك واهتمامك بالأشياء الجميلة؟ أجد أن تقدير الجمال جزءٌ مما جبلت عليه، وليس شيئًا كان عليّ أن أتعلّمه، وإن كان التعليم قد يؤثّر في كيفية تقديري للجمال. وبما أن الله هو في النهاية خالقنا جميعًا، ويبدو أن لدى كل واحد منا تقديرًا فطريًا للجمال، فإنني أخلص إلى أن:

الله يقدّر الجمال، ويُسرّ بصنع الأشياء الجميلة.

وتأمّل أيضًا أنه من الطبيعي، حين يصنع أيٌّ منا شيئًا، أن نرغب في أن يعكس شيئًا صالحًا عن أنفسنا. إذا طهونا طعامًا، فإننا نريد عادةً أن يبدو حسنًا وأن يكون طيّب المذاق، حتى يكوّن الآخرون انطباعًا حسنًا عنا. وإذا أبدعنا فنًّا، فإننا نريده أن يعبّر عن شيء صالح في أنفسنا. وإذا بنينا بيتًا، فإننا نريد أن تكون النتيجة النهائية «صالحة» حتى ينتفع بها الآخرون ويقدّروا عملنا. أعتقد أن هذا أيضًا انعكاس لله:

إن الله يقدّر صنع الأشياء الصالحة، ويحبّ أن نقدّر الأشياء الصالحة التي صنعها.

تأمل الآن شيئًا صنعته، وقد أتلفه شخص آخر بتهور أو تحدث عنه شخص آخر بسوء. هل أزعجك أن يظهر أحدهم مثل هذا الاستخفاف بما صنعته؟ أعلم أن الجواب بالنسبة إليّ هو بوضوح: «نعم، لقد أزعجني حين فعلوا ذلك». أتظن أن

الله غير مكترث حين نسيء استعمال ما خلقه، أو نتحدث عنه بسوء؟ لا أظن ذلك. أعتقد أننا نستطيع أن نقول بأمان:

الله يهتم بما خلقه.

تأمل كذلك: هل سبق أن ظلمك شخص ما، فاستأت منه؟ من أين تأتي مثل هذه القناعات والانفعالات؟ لماذا تغضب من بعض الأمور؟ يبدو أن هذا أيضا جزء من الكيفية التي خلقنا عليها. ومرة أخرى، أجد أن هذا انعكاس لصفة من صفات الله:

لدى الله قناعات بشأن ما هو صواب وما هو خطأ.

لله استجابة وجدانية تجاه الأمور الخاطئة التي تحدث.

يظن بعض الناس أن الله غير مكترث بنا وبعيد عنا. وعلى العكس من ذلك، أجد أن انفعالاتنا نحن، وما نحب وما نكره، تظهر أن الله ليس بعيدا، ولا غير مهتم ولا غير مكترث. بل هو قريب، وهو عطوف، وهو بار.

لمزيد من التأمل:

- ما الجوانب الأخرى من إنسانيتك أنت التي قد تكون انعكاسا لشخصية الله؟

****

الفصل 27
الله متجلّيًا في الآخرين

رأينا في الفصل 25 التباينات والأضداد الكثيرة في الطبيعة، التي تساعدنا على فهم شخصية الله.

تأمل تباينا آخر في ما خلقه الله: الرجال والنساء، والفتيان والفتيات، والذكر والأنثى. يرتبط الرجال عموما بخصائص «ذكورية»، بينما ترتبط النساء عموما بخصائص «أنثوية». لولا خلق الرجال والنساء معا، لكان من المرجح أن يكون فهمنا لتلك الاختلافات، وللقوى النسبية لكل منهما، ضئيلا. تأمل الأثر الهائل الذي تتركه جنسانيتنا في حياتنا. أظن أن الله لا بد أن يكون لديه سبب وجيه لجعلنا على هذه الصورة. وأظن أن هذا يقول شيئا عن شخصية الله.

والآن، إن مناقشة الفروق بين الرجال والنساء تشبه إلى حد ما عبور حقل دفنت فيه ألغام أرضية. ومهما حاولت أن تخطو برفق، فهناك احتمال أن ينفجر لغم أرضي فيشوّهك. لذلك، يكون من الأفضل عادة ألا تسلك ذلك الاتجاه. لذا، في الوقت الراهن على أي حال، دعونا نتحدث بعبارات عامة فحسب.

ما بعض الفروق التي تراها بين الرجال والنساء؟ ما أفضل الصفات ونقاط القوة لدى كل جنس؟ أيمكن، من بعض الوجوه، أن يكون الله متصفا بأفضل صفات كل جنس، من دون مواطن الضعف والإخفاق في كل منهما؟ أحب أن أظن ذلك. وأرى أن هذا، جزئيا، هو سبب خلق الله للذكر والأنثى، لكي نفهم طبيعته على نحو أفضل، من خلال فهم اختلافاتنا الكثيرة.

لنمضِ بهذا الأمر قليلًا إلى أبعد. تأمل التباين العظيم القائم بين كل إنسان على الأرض تقريبا. إننا جميعا مختلفون بعضنا عن بعض بطرق كثيرة. فكّر في بعض الأشخاص الذين تحترمهم أو تعجب بهم. لماذا تحترمهم أو تعجب بهم؟ أيمكن أن تكون الصفات التي تحترمها وتعجب بها هي أيضا صفات لله؟ أظن أن هذا هو الحال على الأرجح. لنلخّص هذه الفكرة على هذا النحو:

بطرائق كثيرة، ينكشف طابع الله من خلال أفضل ما نلاحظه في الآخرين.

ولمزيد من الإيضاح، تأمل بعض الأضداد في سمات الطابع التي يمكن ملاحظتها لدى أناس مختلفين. أيٌّ من السمات الآتية تظن أنها تصف الله على أفضل وجه؟

شجاع / جبان

أناني / كريم

قوي / ضعيف

غير كفء / ماهر

بار / غير بار

عطوف / غير مبال

جميل / قبيح

متقلّب / راسخ كالصخر

جدير بالثقة / غير جدير بالثقة

مؤذ / معزٍّ

معين / مدمِّر

نعم، نستطيع أن نتعلم كثيرًا عن الله بملاحظة أفضل ما في الآخرين.

لمزيد من التأمل:

- ما بعض سمات الطابع الأخرى التي تقدّرها في الآخرين؟ هل يُحتمل أن تكون هذه السمات نفسها جزءًا من طابع الله؟

****

الفصل 28
الله متجلّيًا في العلاقات

هل سبق أن تاقت نفسك إلى علاقات أعمق؟ عندما كنت صغيرًا، شعرت بالجرح بسبب علاقات كثيرة، وكنت أحيانًا أحلم بأن أصبح ناسكًا لأبتعد عن الناس والعلاقات السيئة. لكن ذلك لم يكن ما كنت أريده حقًا. ما كنت أريده وأحتاج إليه حقًا هو علاقات طيبة مع الآخرين. إنني أرغب في أن أكون معروفًا ومقبولًا ومحبوبًا لدى الآخرين. من أين تأتي مثل هذه الرغبة؟ وأخلص مرة أخرى إلى أن هذا جزء من طبيعة الله المنعكسة فينا:

الله يقدّر العلاقات العميقة.

حتى أبسط أشكال الحياة تتطلب نوعًا ما من العلاقة الجسدية كي يحدث التكاثر. وإذ نتأمل أشكالًا أكثر تعقيدًا من الحياة، تؤدي العلاقات بين الأفراد دورًا متزايد الأهمية. كلما ارتقى شكل الحياة، بدت العلاقات أكثر أهمية.

تأمل أسمى شكل من أشكال الحياة الطبيعية التي نعرفها: البشر. يبدو بديهيًا أن العلاقات جزء بالغ الأهمية من حياتنا. وهذا يقودني إلى الاعتقاد بأن العلاقات مهمة جدًا بالنسبة إلى الله (الذي يمكن القول إنه أسمى أشكال الحياة). إن الله معنيّ بالعلاقات؛ بالعلاقات العميقة. فهو ليس، كما افترض بعضهم، بعيدًا وغير مكترث. على العكس، يبدو أن جزءًا من قصده في الخلق يدور كله حول العلاقة. وأخلص إلى أن:

الله يريد علاقة معنا!

لنتأمل بعض الأنواع المحددة من العلاقات. لننظر أولًا إلى الوالدين وأبنائهم. لماذا جعلنا الله عاجزين تمامًا عند لحظة ولادتنا؟ لماذا جعلنا الله معتمدين على والدينا طوال سنوات كثيرة؟ أرى من هذا أن الله لا بد أنه يقدّر العلاقات الوثيقة القائمة على الاعتماد المتبادل. لا يريد الله لنا أن نعيش وحدنا مستقلين عن الآخرين. وفوق ذلك، يبدو من المعقول أن تكون علاقات الوالدين بالأبناء ذات أوجه شبه بالعلاقة التي يريد الله أن يقيمها معنا، إذ يكون الله معيلنا وراعينا، ونكون نحن أبناءه.

تأمل محبة الوالدين وتفانيهما من أجل أبنائهما. من أين يأتي هذا؟ ومرة أخرى، يبدو أن مصدره كامن في الطريقة التي خلقنا الله بها. ولعل الله منحنا المحبة التي نحملها طبيعيًا لأبنائنا لكي نفهم محبته لنا على نحو أفضل.

تأمّل علاقةً إنسانيةً مهمّةً أخرى: الحب الرومانسي بين رجل وامرأة. من أين يأتي الحب الرومانسي؟ لماذا نرغب في علاقة رومانسية وحميمة جسديًا؟ ومرة أخرى، يبدو أن هذا جزء من الطريقة التي خلقنا بها الله. لماذا خلقنا الله على هذا النحو؟ يبدو أن السبب هو أن العلاقات الحميمة العميقة مهمّة جدًا لدى الله.

استنادًا إلى هذه المناقشة، أستنتج أن:

إن محبة الله للناس تشبه محبة أحد الوالدين لطفله، وهي متقدة مثل الحب الرومانسي.

لمزيد من التأمل:

- هل توجد جوانب أخرى من العلاقات الإنسانية ترى أنها تكشف شيئًا عن الله؟

****

الفصل 29
الله متجلّيًا من خلال الآخرين

لقد رأينا أن الله يقدّر العلاقات العميقة. وبما أن الله يبدو متمحورًا حول العلاقة، فمن المتوقع أن يكون الناس عبر العصور قد اختبروا علاقة مع الله. أستنتج:

ينبغي أن نتعلم من أناس آخرين اختبروا الله.

وهذا يثير مسألةً مهمّة: كيف نميّز ما إذا كان شخص ما قد مرّ بلقاء حقيقي مع الله، أم كان الأمر مجرد نوع من الخداع أو سوء الفهم؟ إليك بعض الإرشادات التي وجدتها نافعة:

- **ابحث عن الاتساق بين أشخاص كثيرين مختلفين.** ينبغي ألا تكون الحقيقة عن الله معتمدة على شهادة شخص واحد. كل من يختبر حقًا الله الواحد الحق ينبغي أن تكون له اختبارات وأن يشارك حقائق متشابهة، لا متناقضة.
- **تأمّل خلفيات الناس.** هل في حياتهم ما يجعلك تظن أنهم يفهمون الحقائق الروحية أفضل من غيرهم؟
- **ابحث عن أشخاص يدعون إلى حقائق روحية لا تتغير مع الزمن.** يُبيّن لنا العلم أن الخلق يعمل وفق قوانين فيزيائية ثابتة. إن قوانين الفيزياء والكيمياء نفسها التي كانت فاعلة منذ زمن بعيد لا تزال فاعلة اليوم. إنها لم تتغير. ومن هذا ينبغي أن نتوقع أن المبادئ الروحية ثابتة أيضًا. ينبغي أن تكون اختبارات الناس مع الله والعالم الروحي متسقة عبر الزمن. إن المنظورات الروحية التي تغير معتقداتها بتغير الأزمنة لا يرجّح أن تكون منسجمة انسجامًا وثيقًا مع الحق الروحي الثابت.
- **ابحث عن أشخاص لديهم حقائق روحية تتوافق مع الحق البديهي.** إن شهادة الأشخاص الذين لهم لقاءات حقيقية مع الله الحقيقي لا ينبغي أن تناقض ما يعرف من خلال الخلق.

- **لا تعتمد على مصادر يعرف أنها تتضمن تعاليم باطلة.** أجد أن جميع الأديان لديها على الأقل بعض المعتقدات الصحيحة في معظمها. إن كون بعض الأمور في منظور روحي ما صحيحة لا يجعل كل تعاليمه صحيحة. إن المعتقدات غير الصحيحة هي التي تظهر أن منظوراً روحياً ما باطل، لا معتقداته الصحيحة. إذا كان منظور روحي يروج لبعض الأمور الباطلة بوضوح، فلا تتوقع من ذلك المنظور أن يقودك إلى الحق النهائي.
- **لا تعتمد على أشخاص مرتبطين بنبوءات باطلة.** إذا كان شخص أو جماعة دينية قد قدموا تنبؤات عن أحداث مستقبلية، فهل حدث فعلا ما تم التنبؤ به؟ هذا الاختبار غير عملي مع النبوءات التي لا تزال تتعلق بالمستقبل، لأن ما تم التنبؤ به لم يصبح قابلاً للتحقق بعد. ومع ذلك، يمكن استخدام هذا الاختبار بفعالية لتجنب كثير من الأشخاص والجماعات بأمان، ممن لم تتحقق نبوءاتهم بوضوح.

غير أن من الجدير بالملاحظة أن دقة النبوءة لا تثبت بالضرورة موثوقية النبي أو الجماعة الدينية، إذ قد يصيب أي شخص في تخمين محظوظ واحد أو أكثر. ومن الناحية المنطقية، لا يلزم إلا تنبؤ كاذب واحد لإثبات أن النبي كاذب. لكن إثبات أن النبي حقيقي يتطلب تنبؤات دقيقة كثيرة ومتسقة.

من الواضح أن آخرين قد اختبروا الله قبلنا. فلنسعَ إلى التعلم من اختباراتهم.

لمزيد من التأمل:

- من هم بعض الأشخاص الذين يمكنك أن تتعلم منهم شيئًا عن الله؟

****

الفصل 30
الله متجلّيًا من خلال نص مقدس

في الفصل السابق، رأينا أننا نستطيع أن نتعلم عن الله من خلال أشخاص آخرين اختبروا الله. وفي هذا الفصل نستكشف جانبًا أضيق من الفكرة نفسها: لقد اختبر بعض الناس الله اختبارًا مباشرًا إلى حد أن ما كتبه أولئك الناس يعدّه كثيرون «نصًا مقدسًا».

مع أن بعض الديانات تُنقل إلى حد كبير شفهيًا (بالكلام لا بالكتابة) وبحسب التقليد المحلي، فإن هذا ليس هو الحال عمومًا مع الديانات الواسعة الانتشار. غالبًا ما يكوّن النص المكتوب عاملًا أساسيًا في إيصال المعتقدات الدينية على نطاق واسع.

إن تسمية النص المكتوب «نصًا مقدسًا» ليست إلا رفعًا له فوق سائر الكتابات، وغالبًا ما تقترن بالإعتقاد بأنه موحى به إلهيًا على نحو ما. لدى معظم الأديان نصوص مكتوبة تعدّ أساسًا لمعتقداتها. تمكّن النصوص المكتوبة المعتقدات الدينية من تجاوز حدود الزمان والمكان.

وينشأ سؤال بديهي: كيف نحدد ما إذا كانت كتابة دينية ما حقًا أم لا، وما إذا كان ينبغي النظر إليها بوصفها «نصًا مقدسًا» أم لا؟ يمكن بسهولة تكييف المبادئ التي نوقشت في الفصل السابق:

- **ابحث عن الاتساق بين مصادر متعددة أو مؤلفين مختلفين.** ومرة أخرى، ينبغي ألا تعتمد الحقيقة عن الله على شهادة شخص واحد.
- **تأمل في مصداقية المؤلفين.** هل تمنحك حياتهم سببًا للثقة بهم؟ هل يوجد سبب يدعو إلى الظن بأنهم اختبروا لقاء الله على نحو أعمق من سائر الناس؟
- **ابحث عن كتابات تتضمن حقائق روحية لا تتغير بمرور الزمن.**
- **ابحث عن كتابات تشتمل على حقائق روحية متفقة مع الحق البديهي.**
- **لا تعتمد على كتابات دينية يُعرَف أنها تتضمن تعليمًا باطلًا.** ومرة أخرى، لدى جميع الأديان على الأقل بعض المعتقدات التي هي في معظمها صحيحة.

ومع ذلك، إذا كان نص ديني موحى به حقا من الله، فلا ينبغي أن يتضمن أي تعاليم باطلة.

- **لا تعتمد على كتابات مرتبطة بنبوءات كاذبة.** إن اشتمال كتابة دينية على نبوءات كاذبة دليل واضح على أنه لا ينبغي اعتبارها "نصا مقدسا،" وأن مؤلفها لا يتلقى إلهاما من الله.

- **إن تعدد النبوءات المتحققة دليل على الإلهام الإلهي.** ومع ذلك، يصعب أحيانا معرفة صحة مثل هذه الادعاءات حقا، لذا توخ الحذر.

وبطبيعة الحال، تسارع معظم الجماعات الدينية إلى الادعاء بأن «نصوصها المقدسة» هي المصدر الوحيد—أو الأفضل—للحق. ينبغي لك أن تقرر بنفسك أي كتابات دينية، إن وجدت، ستقبلها بوصفها نصا مقدسا، وألا تكتفي بقبول معتقدات من حولك دون نظر جاد.

أما أنا، فقد وجدتُ أن الكتابات المضمَّنة في الكتاب المقدس تستوفي المعايير المذكورة أعلاه على نحو لا تفعله أي كتابات دينية أخرى. وبالنسبة إلي، فالكتاب المقدس هو «نص مقدس».

وبالطبع، بما أنني أعدّ الكتاب المقدس نصًا مقدسًا، فأرى أنه سيكون أمرًا حسنا لك أن تعدّ أنت أيضا الكتاب المقدس نصا مقدسا. غير أن ذلك قرار ينبغي لك أن تتخذه بنفسك، استنادا إلى ملاحظتك وعقلك. إذا رغبت في لمحة عامة عن التعاليم الرئيسية للكتاب المقدس، فإنني أوصيك بقراءة كتاب «أساسات للحياة الأبدية»، للمؤلف نفسه الذي ألّف هذا الكتاب (وقد تتوفر نسخة إلكترونية مجانية منه على ShalomKoinonia.org). أو، إن شئت، فاحصل ببساطة على ترجمة جيدة للكتاب المقدس، واقرأها بنفسك.

لمزيد من التأمل:

- أيُّ كتابات دينية، إن وُجدت، تعدّها «نصًا مقدسًا»؟ لماذا تعدّها نصوصًا مقدسة؟

****

الفصل 31
الله متجلّيًا من خلال يسوع؟

لقد رأينا أن الله يقدّر العلاقات تقديرًا عظيمًا. لقد خلصتُ إلى أن الله يريد علاقة عميقة مع كل واحد منا. ولكن كيف يمكن لله أن يقيم علاقة معنا حين تكون الفجوة بين عظمته وتواضعنا النسبي شاسعة إلى هذا الحد؟ هل يمكن لله، بطريقة ما، أن يكشف لنا عن ذاته من خلال شخص نستطيع أن نتواصل معه على نحو أفضل؟

إذا كان الله قد كشف لنا عن ذاته بصورة أكثر مباشرة من خلال شخص، فكيف يكون مثل هذا الشخص؟ هل سيأتي هو (أو هي) ملكًا كلّي القدرة؟ إن لم يكن كذلك، فكيف تظن أنه سيأتي؟ هل سينزل من السماء، أم سيظهر ببساطة على نحو سحري، أم سيأتي إلى العالم بصورة أقل ظهورًا؟ هل سيكون مؤيدًا لقادتنا البشر، ومؤسساتنا الدينية، ومؤسساتنا السياسية؟ أقد تكون لديه كلمات قاسية لبعض الناس، أم كلمات طيبة للجميع فقط؟ ماذا قد يقول لك؟

لعلّه لا يفاجئك أن كتّاب العهد الجديد (أحدث جزء من الكتاب المقدس) يقولون إن مثل هذا الشخص قد جاء إلينا بالفعل؛ واسمه يسوع. فهل جاء يسوع حقًا من العالم الروحي ليكشف لنا الله؟ أم هل كان يسوع مجرد إنسان؟ لقد ادّعى كثيرون عبر التاريخ ألوهيةً خاصة، لكن معظمهم كانوا بوضوح واقعين في ضلال، أو كانوا يستخدمون مثل هذا الادعاء لاكتساب السلطة. ويبدو أن يسوع هو الشخص الوحيد في التاريخ الذي تتسق حياته وتعاليمه حقًا مع مثل هذا الادعاء. إذا كان مثل هذا الادعاء صحيحًا، فيبدو بديهيًا أن على كل واحد منا أن يتعرّف إلى يسوع وما علّمه. ولكن كيف يمكننا أن نحدّد ما إذا كان مثل هذا الادعاء صحيحًا؟

إذا كنت مهتمًا بطلب الحق بشأن يسوع، ففكّر في القيام بما يلي:

- **كن طالبًا للحق.** لا تكتفِ بالانتظار حتى يأتيك الحق. اطلبه بنفسك. اعتنق الحق عندما تجده.
- **اقضِ وقتًا في طلب الحق.** تحدّث مع أشخاص يتبعون يسوع حاليًا (ومع الذين يرفضونه، إن شئت). اقرأ ما كتبه أتباعه الأوائل عنه في قسم

"العهد الجديد" من الكتاب المقدس.

- **اطلب العون من الله.** خلص فصل سابق إلى أن الله يريد علاقة معنا؛ لذلك اطلب منه أن يساعدك على معرفة الحقيقة عن يسوع.

يبدو لي أنه لا توجد سوى خمسة استنتاجات عامة ممكنة بشأن يسوع:

1. لم يكن يسوع موجودًا حقًا. كل الكتابات التاريخية عنه لا تستند إلى أي أساس واقعي.
2. كان يسوع شخصًا حقيقيًا، وربما شخصًا صالحًا، لكنه مجرد إنسان. كثير مما كتبه أتباعه عنه ليس صحيحا.
3. كان يسوع شخصًا حقيقيًا خدع الناس عمدًا ليظنوا أنه كان شيئًا أكثر مما كان عليه. والذين كتبوا عنه كانوا مخدوعين.
4. كان يسوع وأتباعه جميعًا أناسًا مجانين مخدوعين بالأوهام.
5. لقد جاء يسوع حقًا من العالم الروحي ليعلن الله لنا.

أما أنا، فقد خلصت إلى أن الخيار الأخير وحده ينسجم مع الأدلة التاريخية والحقائق البديهية التي أراها في الخلق. أخلص إلى أن يسوع قد جاء حقًا من العالم الروحي ليعلن الله لنا.

لمزيد من التأمل:

- ما معتقداتك بشأن هوية يسوع؟ على أي أساس تقوم معتقداتك بشأن يسوع؟
- اقرأ عن حياة يسوع في الكتاب المقدس، في أسفار متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا.

****

الخاتمة

أشكرك على مرافقتي في هذه الرحلة لاستكشاف الحق البديهي. بدأنا بطرح السؤال: ما هو الحق؟ مع أننا لم نصل إلى جواب حاسم عن ذلك السؤال، آمل أن توافقني على أن الحق موجود، وأن الحق مهم. آمل أن يكون فهمك لهذا الموضوع الآن أفضل قليلا مما كان عليه حين بدأت هذا الكتاب.

إذا كنت قد وافقت على بعض استنتاجاتي في هذا الكتاب، فقد يهمك أن تستكشف ما يقوله الكتاب المقدس عن الحق الروحي. إذا كان الأمر كذلك، فأدعوك إلى قراءة كتاب مرافق بعنوان «أساسات للحياة الأبدية». في ذلك الكتاب حاولت أن ألخص النقاط الرئيسية في النص المقدس بطريقة موجزة وسهلة الفهم، مع كثير من الإحالات إلى النص المقدس لبيان مصدر تلك الحقائق. لقد حاولت أن أتجنب الترويج لمعتقدات غير واضحة في الكتاب المقدس. وقد تكون نسخة إلكترونية مجانية من هذا الكتاب (بعدة صيغ ملفات مختلفة) متاحة على أيٍّ من الموقعين الإلكترونيين التاليين:

ShalomKoinonia.org

FoundationsForEternalLife.com

وقد تكون نسخةٍ ورقية متاحة أيضًا حيثما تُباع الكتب (بطلب خاص، إن لم تكن متوفرة عادة في المخزون).

باركك الله وأنت تسعى إلى معرفته واتباعه.

****